الشخصية الانسانية فى الميزان

« وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر
ومتاع إلى حين » .
« نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات » (قرآن كريم)

الجزء الاول

احمد انور الجندى
الشاعر

١٣٦١ - ١٩٤٢

مطبعة الشباب الحديثة بعابدين بمصر

الاهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة صاحب السعادة

إمام الأدب

وزعيم الاقتصاد

وقدوة الفكر

« الدكتور حافظ عفيفى باشا »

لما كنت أنتسب إليكم من جهتين ، ومن أسرتين وفي ميدانين : ميدان الأدب الذي أدين لك فيه بالأستاذية والزعامة وميدان الاقتصاد الذى أومن لك فيه بالسلطة والرئاسة .

ولما كنت عضواً صغيراً فى أسرة أنت رئيسها وزعيمها وقائدها وملاذها فاني أرفع إليكم هذا الكتيب الصغير رغبةفي الأنصاف وطلبا للاعزاز وأملا في رفع آصار

الظلم عن كواهل مؤلفه المغمور.

إن لى في عالم الفكر مطامح وآمالا يقتلها الريف بظلمته والعمل بجهده ومشقته وإن لى إلي دنيا البيان والأدب لرغبة ، ومن هذه الرغبة أستمد القوة على الكفاح الذي سوف يعزينى حتي أنتصر أو أموت

والقاهرة ياسيدي الباشا هى ميدان الظفر ومعقد الرجاء فى ذلك الكفاح وأنت لمثلي خير محراب أتوجه إليه فأجد العون والانصاف فالى سيدي الباشا أهدي هذا الكتاب رمزاً لذلك الأمل وعلامة لذلك الولاء م؟

أحمد أنور الجندى

(أمين مصرف مصر بالقوصية)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ النفس الانسانية فى ميزان القرآن ﴾

(وقلنا اهبطوا منها جميعا ، بعضكم لبعض عدو)

(ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه)

(ان النفس لأمارة بالسوء)

(واذا أنعمنا علي الانسان أعرض ونأي بجانبه)

(لا نكلف نفسا الا وسعها)

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها)

(واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة)

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)

(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (قرآن كريم)

— • —

المثل الاعلى للنفس الانسانية

كما رسمه القرآن

- ١ -

« واقصد في مشيك واغضض من صوتك »

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا »

« اجتنبوا كثيراً من الظن »

« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا »

« ولا تقف ما ليس لك به علم »

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها »

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط »

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم »

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوي »

(اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة)
(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم)
(ونفس وما سواها . ألهمها فجورها وتقواها)
(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)
(قل لايستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)
(لا تزكوا أنفسكم)
(وان ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى)
(لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم)
(ولتنظر نفس ماقدمت لغد . .)

الانسانية في الميزان

بقلم

﴿ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه وعطر مثواه ﴾

« البخل عار ..

« الجبن منقصة ..

« والفقر يخرس الفطن عن حجته ..

« والمقل غريب فى بلدته ..

« والصبر شجاعة ..

« والزهد ثروة ..

« والورع جنة ..

« والفكر مرآة صافية

« اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره

« واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه

الفصـــل الاول

معالم الانسـانية

—

- الانسانيـة
- الحيـاة
- المجتمع
- السعادة
- الايمان
- الكمال
- الحرمان
- المـال
- الاغنياء
- الفقر
- القوت
- الابوة
- الاطفال
- الجمال والذكاء
- الوحدة
- السرور
- الحزن
- الصمت
- الاختيار
- التقلب
- الخصومة
- الشيخوخة
- الموت

الانسانيـة

بدأت الحياة بنزول آدم من جنة الخلد عاصيا فهل كانت هذه الحياة منذ بدئها رمزا للتمرد والعصيان

كانت الحياة منذ أن عرف مبدؤها الى اليوم صورة من القوة والضعف .

تتغلب الاولى فتسود وتحكم وتستعبد وتفعل ما تشاء وفي اندر الحالات تبدو فيها علائم السلم ودلائل العدل وموازين الاقساط فينال الضعيف حقه بجوار القوي ، ثم ما تلبث أن تسود الغرائز التشريع فيستبد الحاكم بالمحكوم وتغير الدولة القوية على الدولة الضعيفة فتأسرها وتذلها ولا تزال تلك الصورة تجري على البشرية بالرغم من مظاهر التمدن والحضارة والعلم العريض وبالرغم من قيود الاديان وما فيها من توجيه الى الخير والعدل والاخاء والتسامح وما تفرضه الحضارات التى قامت على أيدي الفراعنة والفرس والرومان والعرب والاوربيين .

وتنقسم الحياة الانسانية الى معسكرين فى كل جيل ، أصحاب الهدي والنصح والتوجيه والارشاد، الذين يستعينون بالدين مرة وبالفلسفة مرة وبالمنطق مرات ، هذه الفئة دائبة فى العمل لخلق مبادىء الحق والخير والجمال والاحسان والحرية والتسامح والاخاء والعدل وتدعيمها

والفيلق الثاني أصحاب الغرائز ، وجهتهم الامتلاك ورغبتهم الاستبداد ودعواهم الأنانية ومذهبهم التمتع وغايتهم الترف ، ترف اللحظة ، وهدفهم الحاضر وديدنهم الوصولية هؤلاء هم أهل الهدم وأولئك هم أهل البناء

أصحاب الغرائز هم الذين ينشأون فى كل أسرة يبددون ما خلف الأب والجد ويهدمون ما بناه السابقون

والحياة تسلم زمامها طوراً إلى أصحاب العقول وتارة إلى أصحاب الغرائز فهي تبنى قوما وتهدم آخرين وتتولى الأحقاب فاذا أصحاب المجد فيما مضى يعيشون على التراب وإذا الفقراء والمنبوذون سراة أغنياء

وفى الأمم والشعوب تتغلب قوى العقل فتنشأ الحضارات

وتتغلب الغرائز ويغلب الترف فتنهزم الأمم وتموت الحضارات

والرجل في كل هـذه الأدوار لا يكاد يحيط بما في ضمائر الأجيال فهو مندفع في طريقه لا ينظر إلى الوراء ، عاملا مجاهداً ، يخفق مرة ويوفق أخرى،وهو يسعي مرة في سبيل جمع المال ثم يسعى بعد في سبيل انفاقه

والمرأة في كل هـذه الأدوار مصدر الحوار ومآل الامتلاك ومصدر تبديد المال والعقار وهي في بعض الأحيان مصدر القوة والتعمير والانتصار

وتتغلب في الحيـاة نزعات الجنس ومآرب الشهوة ورغائب المادة ومطالب الروح

وتعيش في الحياة مذاهب السمو فترتفع الانسانية إلى عنان السماء ومدارج الخلود وتعرف أقدار العباقرة بعد أن يقضوا حياتهم منبوذين ويشاد بهم بعد أن يدرجوا في الأكفان وتعيش مذاهب المادة فتحكم وتسود وتشعل من حولها لهب الشهوة والانتصار ثم تزول في غمار السنين فتنطوي كما تنطوي السحب ولكنها لا تخلف أثراً ولا تترك أثارة

هذه هى الحياة الانسانية ، صورة من قوة الله ، توجهها الغرائز والعقول ، بين الهدى والضلال ، فترتفع تارة فى مهب الريح وتنخفض آناً فى ذل الموت والحرمان ويحيا قوم ويموت أقوام ثم بعد ذلك نشور وحساب

الحيـــاة

الحياة الدنيا محطة انتظار بين عالمين وبرزخين : العـدم والوجود . ولـكن الحياة رغم ذلك ساحة جهاد والويل كل الويل لمن مضى في الحياة ولم يقم له فيها هدفاً مقصوداً ولم يجعل له من جهادها غرضاً مبيتاً مدفونا ، ولـكن طالما لقى الأمناء الأعفاء الجنادل والصخور والعقبات وطالما ذاقوا اللوعة والأسى والحرمان والتخلف ، لأن الطريق المستقيم والخلق والعفاف والشرف والرجولة والشجاعة ذخائر هائلة ولـكن لا تعين كثيراً على النجاح البراق الذى يعرفه أهل هذا الجيل

فالحياة عندهم مسرح وهمى ، يجب أن نظهر عليه فى

مسوح الزاهدين الطاهرين ولو أخفينا في أعماقنا كل الشرور والآثام

مبدأ أكثر الجيل: يجب أن نخادع الناس، ونبدي خلاف ما نبطن وأن نجامل هذا وذاك وألا نطلق كلمة الحق مدوية مجلجلة لأنها تجرح شعور بعض الغاصبين ، والرجل الناجح المقبول ، هو من يداجى غير صادق ولا منصف أما العفاف المطبوع والخلق الرفيع والشرف الصادق والرجولة الحقة فمصير صاحبها إلى التقهقر والظلم ، ولكن مهلا ، فالموازين سائرة الي اعتدال وعندئذ تعود للالفاظ قيمتها من المعانى ولا عبرة بمبادلة الذى هو أدنى بالذى هو خير

المجتمع

أليس من أوهام الانسانية أن يكون المجتمع بما فيه من أفراد نصف جهلاء هو صاحب الحكم على الممتازين والعباقرة الذين ينحتون من الصخر سبلا ، ويخلقون للانسانية ما هى أحوج اليه من الفنون والافكار والمذاهب والمناهج ؟

والظروف البلهاء ـ وحدها ـ هى التى تسمد الاغنياء الجهلاء وتعدهم بالمال حين تحرم الابرار المثقفين ، أصحاب المواهب .

السعادة

يندر أن تجد في الحياة رجلا راضيا يشعر بالسعادة في الحياة . وليس معنى هـذا أن السعادة مفقودة ضائعة لا أثر لها ، انما معنى ذلك أن فريق الاشقياء هم الذين ينظرون الي أنفسهم بالقياس الي آمالهم ومطامعهم في الحياة

لا يمكن أن يعيش فرد في الحيـاة بدون أمل واضح وهدف مرموق ولـكن ليس معني هـذا أن هذه الآمال المتخيلة هي مقياس السعادة ، انما مقياس السـعادة يجب أن يوضع بالنسبة الى ماضى كل فرد والي مكانه من أنداده وجيرانه وأصدقائه . الحياة لا يمكن مطلقاً أن تهب السعادة الحقة ، انما تعرف السعادة بفهم أهدافك وحقائق حياتك

السعادة مصدرها النفس قبل أن يكون مصدرها الحياة

والافراد المتمردون المتشائمون لا يمكن أن يشعروا بالسعادة أو يعرفوها لأنهم ينظرون الى الحياة بمنظار أسود ويعالجون الحياة من جانبها الغامض المظلم

وبعض النفوس يغلب عليها التشاؤم ومن ثم لاتعرف السعادة

ليس من مقاييس السعادة القصر والكوخ والمال والفقر وان كانت السعادة تكتمل بالقصر والمال وتعز بالفقر والكوخ

السعادة مصدرها العامل النفسي الاصيل فلطالما كان الاغنياء أبعد من السعادة وأقرب الى الشقاء

السعادة معنى روحي معنوي أكثر منها في عوالم المادة والغني

قد يدهش بعض الناس ، ولتوضيح ذلك نقول ان الغنى يصبح شيئا عاديا عند الاغنياء فهم يألفونه كما يألف كل امريء حالته بطول البقاء فيها مهما كانت مرة المذاق بل لعل الغني يبعد المرء عن السعادة لانه يزيد التكاليف ويبددالامن بعكس البساطة التى تعرف طريقها واضحا وسبيلها معبدا

ليست السعادة إذن في اعتمار الجوانب المادية ، إنما المدار في الاغلب علي الجوانب الروحية وأولها القناعة وانكار الجشع والرغبة الى الاحسان

والسعادة في الحقيقة يجب أن تأخذ من المادة والروح ومن المال ومن النفس وهى تطلب الكمال فى عوالم المادة لتسد حاجاتها كلها سداً رفيعاً يشمل الضروريات والكماليات

وقد يتزوج الغنى زوجة بليدة العقل ، كثيفة الحس ، وقد ينجب أولاداً غاية فى الدمامة

وقد تتزوج الغنية عجوزاً لا يفهم أهواءها حين ترغب هى إلى شاب حاد الشباب ولو كان يسكن كوخاً

لن تكمل السعادة فى جانب المال والبنين والمرأة مطلقاً

والغني نفسه يبعد عن السعادة لأنه يغرق الروح في الشح والطمع والبخل والجبن فتموت عنده الجوانب الخيرة الروحية التى تعرف الايثار والاحسان والتسامح والكرم والوفاء والتى يعرفها الرجل الوسط في أغلب الأحيان

صحيح أن للمادة بهراً وفتوناً ، ولكنه فتون براق

سريع الذوبان ، سريع الذهاب ، ثم تبقي النفس من بعده فارغة جوفاء . .

لماذا يشعر الناس بالشقاء ؟

الحياة قصيرة ، وتتطلب من المرء أن يستمتع بكل ماتصل إليه يده منها استمتاعا شريفا بريئا ولا خير في أن تكنز الأموال وتقبر في الزوايا المظلمة لتتكدس ثم يمضي المرء في الحياة فقيرا محتاجا إلى الطعام الجيد والكساء الذي يقي البرد

الحق أننا يجب أن ننظر إلى الحياة بمنظار الواقع والحقيقة وأن نقنع بما تقدمه لنا الحياة من خير ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار . وأن ننظر إلى الحياة بمنظار التفاؤل وأن نتغاضى عما في حياتنا من عيوب ومناقص فما خلت حياة امرىء من مغمز أو عيب ، وان نعني بضبط النفس وتقوية الارادة لتكون شخصيتنا أكثر سلامة وأكثر قدرة على السعادة والاطمئنان والتركيز وأن ننظر إلى الجانب الروحي نظرة الحرص والاكبار

السعادة

— ٢ —

لا تكون السعادة بالفرد وحده بل وبمن حوله وحدة غير مجزأة

المال والأطفال والصحة والدين والعقل هى عوامل السعادة

العقل هو الذى يمنع النفس أن يغريها المال فيردها الى الجموح

والدين يوقد في القلب حرقة الشوق الى الجزاء الآخر وإلى الايثار وإلى محق الأنانية

فالدين والعقل هما عنصرا الحزم فى السعادة وهما لجامها الذي يردها الى الاعتدال

النعيم المادي يبعث الخشية على الواجب الروحي والشعور الانساني ، والترف خطر روحي لأنه ينسى ما في الحياة من ألوان الشقاء حين تمضي حافلة بأطايب الترف فيحول ذلك

دون الجهاد وينشىء أزمات الأشقياء والفقراء

لا يشعر بسعادة الغني إلا الفقير لأنه ينظر إلى دنيا الواقع فاذا ما صار الى الغنى انطوى المعنى في مظاهر الغنى وضاع، لأنه انتقل الى شيء موجود وما تملكه اليد تزهده النفس

ويجب لكي تتم السعادة أن يعرف الغني الفقير والمسكين وابن السبيل لا أن تزيد الثروة القلوب غلظة وتحجرا وترفعا عن الناس

السعادة

— ٣ —

لا تتم السعادة في الحياة إلا باجتماع عوامل لو ذهب منها عامل لبدت السعادة مبتورة غير مكتملة ولكن قلما تجتمع هذه العوامل في إنسان واحد لأن السعادة لا تكون بالفرد وحده بل وبمن حوله كوحدة غير مجزأة فما تكون السعادة لفرد وأهله يجاهدون ألوانا قاسية من الحياة أو المرض أو الفقر

لا تتم السعادة إلا اذا جمع المال الى الصحة الى الدين الى العقل الى النسل ، ولو اجتمعت هذه العوامل مضافا إليها الهدوء والتفاهم والتعاشق لتمت السعادة

المال حين يأتي بعد الفقر يضل ويعمي ويصم ويقتل في النفس عوامل خيرة ، ويخلق في النفس عوامل جديدة فقد يقتل العطف على الفقير ويخلق الأنانية والاثرة والبخل والتقتير ويتوجس خوفا من الردة الى الفقر

والمال سناد من أسندة السعادة قد يكون أقواها اذا وهب لرجل يتزكى في عقله وقلبه وجنانه،ويعتدل فلا يسرف ولا يطغى

ولا بد من اجتماع الدين والعقل الى هذه الصوز لتتم السعادة فهما يصرفان الأمر بالحق بين المال والصحة وبين الأولاد والمال وهما زينة الحياة الدنيا وهما في الوقت نفسه فتنة فاحذروهما . . .

العقل هو الذي يمنع النفس التى يغريها المال من الجموح والطغيان والسيطرة والظلم.والدين هو الذي يرد هذه العوامل

المترفة الناعمة عن سلطان الاغراق ونسيان الفقير والمحتاج ، والجافيــة جنوبهم ، فما تنفع السعادة التي هي قشور من غير الدين الذي يوقد فى القلب حرقة الشوق الى الجزاء الآخر والى الايثار والى محق الانانية لمــد يد العون لكل بأس وكل فقير

وماذا تكون الحياة إذا كانت ترفا ولينا وحريراً وقصورا وموسيقى وأغانيا كلها تصخب وتضل وتعمى عن تبين طريق الله وعن معرفة الحقيقة الخالدة التي تقرر أن الدنيا دار ممر وأن هذه الأموال والنعم ما أعطيت الا لتزيد صاحبها قربا من الله أو على الوجه الصحيح لتبين موقفه من زخرف الدنيا وقوة الدين . فالدين والعقل هما لجام الحياة الذى يردها الي الاعتدال

الايمان

ضعف الايمان بالله من أسباب الضعف الذي منيت به الانسانية فى هذه العهود .

فالناس بالرغم من غريزتهم الروحية يحول حب الدنيا بينهم وبين القدرة على مواجهة الاضواء الانسانية السامية اذ لا يمكن التخلص بسهولة من الاوهام المعاشية التي تكون القياد لطبقة كبيرة منا

وقوة الايمان نفسها كفيلة بان تمنعنا بان ما لنا فهو لنا وما علينا فسوف يصيبنا مع احترام الجهاد الشريف في سبيل العيش ، والنضال الصادق في سبيل الارتقاء

الكمال

بالايحاء توجد في نفوسنا عقد جديدة كل يوم ونظل نزيدها بمرور الايام قوة حتي نصبح وليس في استطاعتنا نسيانها ، وهي ما تلبث بين آن وآخر تغزونا فلا نستطيع قمعها

والحياة نفسها لم تمكن للانسان من بلوغ الكمال كله فهو أن أعطى المال حرمته الجمال وإن أعطته المال حرمته النسل وفي اعتقادي أن الانسان يتخذ من كل هذه الالوان وسيلة لبلوغ أقصى درجات السمو في الحياة

نطلب المال ثم نطلب الجمال ثم نطلب المجد ثم نطلب الجاه

فلا تحسبن الغنى سعيدا بغناه ، إنه كلما ازداد غنى ازداد جشعا وحبا للمال وهو كلما وصل إلى هدف تبددت لذته في نفسه وبدأ يشعر بشوق إلى هدف جديد

وكذلك النقص في النعم الطبيعية موجود ولا بد لكل فرد من نقص

فالطبيعة التي تهب المفرس الحسن تمنع المادة ، والطبيعة التي تهب المال تهب تفاهة الروح أو الدمامة وهي حين تهب الجمال تسلب الذكاء وهي حين تهب الذكاء تهب الفقر وكل هبة محسوبة على المرء والكمال محال

الحرمان

لم تمكن الحياة للانسان من بلوغ الكمال كله فهي إن أعطته المال حرمته الجمال وان أعطته المال حرمته الذرية وان أعطته ذلك كله حرمته الجاه والسلطان

وفي اعتقادى أن الانسان يتخذ من المال وسيلة لبلوغ

أقصى درجات السمو في الحياة ليمتلك الجمال في المرأة الحسناء فالفقير حين يعزه الحظ بالمال يطلب السمو به ليمتلك الجمال ولينتج نسلا رائعاً وقد يفكر في ذوات الأصل المجيد لأنه يعلم أن العرق دساس

والحق أن الانسان مهما رزق حياة هانئة فى قصور مزخرفة وفى بيئة لينة ، لا يشعر بالكمال

إن وراءه سوط الحرمان في كل زمان ومكان فلا الغني سعيد بغناه ، لأن النفس الطامحة تترامى إلى أمل جديد ، حين يصير أملها الأول في دور الامتلاك

ولا يشعر بسعادة الغنى إلا الفقير لأنه ينظر الى شيء موضوع فاذا ما صار اليه نظر اليه كشيء موجود ، وما تملكه اليد تزهده النفس وكل ممنوع يشوق

في الحياة ألوان من الحرمان لا حد لها

وأول ألوان الحرمان هو حرمان البيت من الطفل ، حينما يخلو البيت من الطفل تمضى حياة الرجل على وتيرة واحدة من الملل الذى يدفعه إلى الخلق فى ميدان الحياة ،

خلقاً رائعاً ، يعوض ما فاته فى عالم الاسرة

والحق أن الحياة لا يمكن أن تقضى دون غاية . وغاية الانجاب مدفونة فى أعماقنا لا شك فيها ولا سبيل الى التنكر لها بل لعل تجاهلها قد يكون من أسباب استقلالها وبروزها من وراء الوعى

والحياة الزوجية تظل مبتورة طالما هى خالية من الطفل يعوزها جانب لا غنى عنه .والأطفال لهم في الحياة أثر كبير إذ يجلبون البهجة والسرور والسعادة والاكمال وهم يزيحون كثيراً من هموم الدنيا وآلامها ويصرفونها بوجودهم ويملأون المنزل صياحاً وجلبة ،والأم التي يطول بها الأمر ، تشعر بالمرض والحزن والألم الموصول ولا يشغل تفكيرها إلا هذا الأمر لانها أعدت له اعداداً طبيعيا

والحق أن المرأة لا عمل لها الا تربية الطفل واعمال البيت لا تأخذ من وقتها الا جزءا ضئيلا وهي لو عاشت بمفردها لدب اليها السأم والملل الذي ينتفى حين تشغل بطفل تربيه وتناغيه وتغاضبه وتدلله

والبيوت العامرة بالأطفال بيوت يسودها جو حنون هادىء رائع يشوق ويجذب. والمرأة الولود امرأة لا تعرف الملل ولا السأم ولا يهمها طول الأيام ولا قصر الليالي

كل ممنوع متبوع كشجرة الخلد التي لم يسترح أبونا آدم الا بعد الوصول اليها

والحق أنه ليس أزعج من قصور الرجال عن التمام، فاذا أعطوا المال قصر معهم الجمال واذا أعطوهما حرموا الجاه والمجد

فى النعم الطبيعية نجد عنصر النقص موجوداً فهي تقسم المال والجمال والذكاء بنسب متفاوتة وكل هبة محسوبة على المرء فهى حين تطغى تجتاح هبة اخرى فتحرمها الحياة

وفي الحياة المحدودة نشعر دائما بالحرمان ونلقى أصداء بائسة من الوحشة والألم والعجز والقلة تدع الرجل الممتاز قاصراً عن الكمال

المـال

« المال [1] من القوى الهائلة للاغراء فبه تشتري الضمائر وتخنق العقول وسحر المرأة أشبه بسحر المال والى كليهما يرجع الوصوليون عند ما يريدون قهر الرجل الحر والسيطرة عليه وكم من عظيم لوح له بالجاه والثروة وأغرى بهما فتراخت ارادته وتبلدت ذمته وتسمم ضميره »

يتقرب الناس الى الله ويزهدون ، ويعرفون الفضائل كلها والاخلاق وقواعد الدين حين يخف المال من أيديهم وحين يضيع بريقه من أعينهم ، فاذا ما عاد النفوذ والسلطان والانشغال الموصول عن الدين والله ، هكذا الانسان لا يعرف الله الا عن فقر وحاجة فاذا أعطي نسى ما قدمت يداه

المال يعلم الكبرياء والغطرسة والكرامة والتغاضب الذي يصدر عن الوضاعة الاولى التي تختفي تحت ثياب الغنى

---

١ ـ مجلة الهلال لكاتب بليغ

المال يغري بنسيان صوت الضمير وبتجاهل الفقراء والمساكين

والذى يبـدو واضحا أن الغنى والفقر يجعلان الطبائع والفضائل نسبية لهما فالفقير دائما ثائر الأعصاب أقرب الى الاهتياج ، والغني دائما شحوح أميـل الى تناسى الفقراء والمحتاجين

والمال يخلق الجشع والطمع ويصرف عن التوسط والاعتدال وكلما ازداد المرء مالا ازداد شحا وتكالبا وقتالا وقد يأكل الفقير وينعم باللقمة الهانئة والكساء الجيد بخلاف الغني الذى يطربه المال فينصرف اليه وحده وينسيه لذات المأكل والملبس لان هناك فى داخله أتونا مضطرما يبحث عن جمع المال وتنميته

بل لعل المال يذود النوم عن جفن صاحبه

وكثير من الرغائب النفسية فى حالة الفقر تموت فى حال الغنى ، والبحث عن الهناء والسعادة عند الفقير ، انما هو فى صميمه بحث عن المال فهو مصدر السعادة الاول والاخير

وما يسأل المرء عن السعادة وما يبحث عن الهناء إلا فى أوقات الازمات ، إلا وهو فقير مدقع ولـكنه حين يترع بالمال ينشغل به وتبدو له تلك الصورة الوهمية الخيالية كأنها الهباء !

والحق أن المال يضل ويصم ويقتل فى النفس كل عوامل الخير حين يأتى بعد الفقر فهو يخلق الانانية والاثرة والبخل والاقتار ويملأ النفس توجسا من الردة إلى الفقر

وكل عيوب الدنيا يعالجها المال حتى العى والحصر ، ولـكنه يخلق عيوبا جديدة هى التكبر والازدهاء واستصغار التضحية والجبن عن اغاثة الملهوف وما ضر الميسور بشقاء المحروم . .

والمال هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ أقصى درجات السمو ، في الحياة

والمال يطغى ويضل ، ويغير الاتجاه ، ويحول القلوب والمال للانسان فتان كما قال الشاعر القديم

ولـكن أى قيمة للمال إذا لم يكن أداة تحول من حال

إلى حال ، وما معناه إذا كان غاية يجمع ويكدس ويكنز دون أن يحول صاحبه أو ينقله من درجة إلى درجة في الحياة

هل نعطي المال ثم نظل كما كنا ، العيش الجاف ، والملبس الخشن والحياة المحدودة ؟ أم نعطاه لنبدل العيش الجاف بالالوان الزاهية والملبس الخشن باللباس الانيق ونخرج بالمال من الاوضاع الضيقة التي وضعنا فيها الفقر . ؟

ولكن المال سبب من أسباب الطغيان والتمرد والتحول ، في بعض النفوس السريعة التأثر ، الطامحة ، الراغبة إلى خلق آفاق أخرى براقة

وقد ثبت بالبرهان أن تحسن الاحوال المالية يفيد الحالة العصبية ويمنع منها النزق والانزعاج

وهو قد يخلق في بعض النفوس الكبرياء والسيطرة والظلم ويبدل ما فيها من جيد الخلق رديئا ويفتح أمامها أبواب الغرور والطمع والتمرد على الوجود . وبالمال تنتفي من النفس أسباب الضيق والحرمان وتصفو النظرة إلى الحياة ويموت ما فيها من أسباب التمرد والحزن البالغ

فهو سناد يشعر بأن الحياة فى قبضة اليد ، وما الفقر والحرمان الا الشعور الموصول بالرجعة على مقتبل الايام

فالفقير لا يعرف باكره وهو حين ينظر إليه يمتلىء توجسا وخوفا فهو لا يستطيع أن يؤمن بأنه سيكون موصول الرزق فيه ، أما الغني ، صاحب المال ، فانه ينظر الى مستقبله نظرة الاطمئنان

ولعل التوجس الذى يلازم الفقير ناتج من خشية الناس أكثر من خشية فقره ذاته فقد يستطيع أى انسان أن يبيت على الطوى ولكنه لا يستيطع أن يبدو أمام الناس، أعدائه وأصحابه ، بمظهر القلة والبطالة أو التراجع والاقتار ..

ومن هنا كان المال عزاً للنفس الانسانية وسناداً لها من نكبات الزمان ، وهو فى أغلب الامر يدفع الانسان فى الحياة جريئا قويا غير هياب ولا وجل ، لانه لا يتراجع إلا الفقير الخائف على مكانه وحاله ومستقبله ، أما ذاك فانه يجازف فاذا سقط فانه قد ضمن ما يحول بينه وبين الانهيار

ولكن المال فى ذات الوقت يحول بين المرء وبين

وبين الفضائل الانسانية فان أول صفاته الطمع والجشع والخوف والتهيب وهو يشعر بالكظة فلا يرق قلب صاحبه لجوع جائع ولا لبرودة عريان ولا لحاجة فقير

وهو يدعو إلى البخل والشح خوف الرجعة إلى الحال الأولى وهو يحرم المرء من النظر إلى الآخرة لأنه يلهو عنها بما فيها من زخارف الدنيا وهو يحول دون العبادة والايمان الكامل لأن الترف والنعيم الموصول يدفع الروح إلى الكسل والخمول ويحول بينها وبين الشوق الروحي الراغب إلى انتظار التعويض الآخر ، المترقب لله وحده ، الراجي حسن الجزاء والمتطلع إلى نعمة الجنان . .

والحق أن الدنيا دار قصيرة الأجل ، وأن نعيمها مهما طال فهو تافه وأن الاغراق في المتعة بها يحول دون الجزاء الآخر وهو أحق الجزاء

فالمال سناد للرجولة ولكنه منقصة لأغلب صور الخلق الانسانية .

الأغنيـــــاء

إني لأنظر إلى الذين نشأوا في القصور فأعجب كيف انصرفت أيامهم إلى اللهو والترف ، وكيف مضوا يبددون فراغهم عبثاً ، لا تستفيد منهم الأمة ولا الوطن ولا الفكر شيئاً .

إنما هم يعرفون ـ جيداً ـ كيف يبعثرون النضار في مهاوي اللذات والشهوات وفي خدور الغواني وفي مدارج المراقص وفي حلبات السباق .

هم درجوا ولا مثل أعلى لديهم ولا هدف معين يملأ قلوبهم ولا شوق إلى أمل مرقوب يناوشهم بين حين وحين

هم درجوا في الحرير والديباج ونعموا بالفراغ واللهو والتهافت على الأهواء فقصرت نفوسهم عن طلب المجد الحق، مجد الاندفاع نحو الأهداف في عوالم الجهاد وميادين الاجتماع والاقتصاد والفكر

أما الفقراء فقد كان الفقر بلسما لأرواحهم الراغبة الي

السمو والعلاء فكان طريقهم الى ميدان الجهاد وكان سبيلهم الى ساحة النضال .

ولطالما ناضل الفقر الكوارث والمتاعب حتي انتصر وحتي وصل .

إن الرجل الفقير الطموح لا يحب السلام ، بل يتوغل غير وجل حتي يتم له النصر بفضل عزيمته بعد فضل الله

الفقــر

الفقر بلسم للروح ، وهو فى ذاته نقص ، والشعور بالنقص وقسوة الأيام يدفع الى الجهاد والنضال .

الغنى يحجب الحقائق ويحول دون الالموالشقاءواللوعة وهي ذخائر انسانية تصقل الرجولة ، فليس شك أن الفقر يبدى الحياة على صورتها المكشوفة ، فيشعر الفقير بكل مافى الحياة من ألوان ويذوق كل ما فى الدنيا من بلاء فيخرج مصقولا مصهوراً

والفقر ينتج أكثر من الغني ، لأن الغني يملأ الواعية

الباطنة بالاطمئنان الكسول فيردها عن اليقظة ويصدها عن الحس فتقصر في المترف ملكات كانت أهلا للقوة والنضال والاقتحام فى الحياة .

من شأن الفقر أن يخلق لصاحبه أعصاباً من حديد ، ينبهاالنضال فى الحياة وطلب السيادة والحرية ولذع الوحدة والاغتراب ومجاهدة الرزق ومناضلة طبقات مختلفة وبيئات متعددة .

والفقر داء موروث لاذنب للوليد فيه فقد تهب الحياة المال لمن لايحسن الانتفاع به ولمن لا يفيد به المجتمع ولمن لا يعرف كيف يجعله مطية لخلق قوى جديدة ، وايقاظ قوى غافية فى الفكر والوطنية والانسانية

القوت

ما أظن أن شيئا يشغلنا ويثير بيننا القتال والنضال الا العيش وان كان كثير منا يتزوج فيزعم أن المطلب المادى هو أتفه المطالب .

وما أعتقد أن هذا النضال والضجيج الجامح الذى تثيره الحياة الا مظهر من مظاهر العمل للعيش

يعمل الانسان ليكسب ، أي ليأكل ويكدح ليأخذ أجره ليقتات .

فما أهون هذا الجهاد ان كان مصيره سبر الجوع ، وما أرذل اصطناع النفاق والاثم والمغالطة للوصول الي اللقمة لقمة الخبز التي تملأ البطن وان كان معناها يمتط عند الاثرياء فيصبح موائد حافلة بالترف وبالاغذية الشهية بالفطائر والحلوى

ومن هذه النزعة ، نزعة انكار الجهاد الصخاب لمطلب المادة التافهة نشأت فكرة الصوفية والزهد فى المادة والرغبة عنها والاكتفاء بالتمر القليل

والحق أن الغذاء عنصر أساسى لاشك فيه للحياة ، ولعل الجوع هو سبب المشاكل والثورات والسرقات والحروب فالجهاد كله في هذه الحياة مقصور لهذه النقطة بالذات وان أسبغ عليه ألوان من الرغبة الى السمو والكمال والشهرة والمجد

ولعل الحرص على المال هو أول الاسلحة لاعداد

الغذاء فلم نحرص علي المال ونجمعه ، أليس كما يقول بعض المعتدلين ليكون عوناً على عادية الدهر الخوان ؟

ونحن حين ننكر أن نجعل المادة ومطلب العيش هو الدافع الاول للحياة ، إنما نحاول عبثاً ، وإن كنا نصدق حين نقرر أن الخلق يقتضي ألا يغلب هذا المبدأ على الفضائل نفسها فلا يجب مطلقاً أن يكون دافع العيش والمادة سبيلا إلى الخروج عن الخلق والامانة والنزاهة والعفاف ليحيط بأكبر قدر ممكن فهذا هو التكالب والشطط والاسراف في جمع المال وأغلب الدين ينزعون هذا المنزع لا يتمتعون بالمال لكي ينفقوه ويسعدوا بلذاته في دسم الغذاء وجميل العيش إنما هم يكنزونه ويجمعونه ويتخذونه غاية لا وسيلة

ولكنا في كثير من الاحيان نطالب بالانصاف ونصرخ بالمجد ونرسم لأنفسنا مثلا عليا وغايات وأهدافا من من الحياة العالية نعمل كادحين للوصول اليها ، أليس الذي يسوقنا اليها فى الحق هو الحرص علي التمكين للحياة حتى لانشعر يوما بضارية الفقر الديقوع أو لنعجل لنفس العيش

بلهنية وترفاً ونخلق له جواً ناعما من المتاع واللذة والتنويع والاكثار بدلا من الصنف الواحد ؟

الحياة فى الحق جهاد للمعدة ونحن لا نعرف الروح معرفة حقة إلا بعد استقرار المشاكل المعوية وذلك شأن لا سبيل إلى تغييره لأنه ثابت في الفصيلة الحيوانية ثبات الخلود ولا عجب فحين نجوع يسرع الينا الهزال والضعف ويتعب العقل ويقصر عن التحليق فيسف ويسرع الينا الغضب والعصبية فأول عوامل الجهاد فى الحياة هو العيش وأول عوامل القدرة على الحياة ـ مادة وروحا ـ هو الطعام

الابوة

الأبوة أقوي من البنوة لأنها صادرة من الاصول والبذور كما أنها مضمخة بالرحمة والحنان الطبيعي الصادر عن غريزة البقاء . أما البنوة فانها قد تظهر قوية وقد تبدو ضعيفة تبعا لعوامل التربية الاولى وعوامل الحياة نفسها وأثرها في إضعافها أو اضطرابها أو تقويتها .

الاطفال

الطفولة في المنزل روعة وسعادة فهي رمز الانتصار والتسامى لأنها تؤكد الشخصية وتبرهن على الرجولة عند الرجل والانوثة عند المرأة. والمرأة - دائما - التى تلد تكون أرغب إلي الاستعلاء والسيطرة والزهو بأنوثتها وأمومتها كما أن الاطفال تقتل حدة الخلافات المنزلية لأن التفكير فى الانفصال يموت بسرعة رعاية للاطفال وشفقة على لوعتهم بعد افتراق الآباء .

والاطفال باب من أبواب السعادة للآباء والامهات ، والحياة بدون الاطفال يسودها لون من الجفاء والضيق والسأم وهى تقضى أغلب الامر في الحديث التافه . وتسعد الاطفال لأنها تؤكد الذات .

والبنوة والمال — كما قال القرآن الكريم — زينة الحياة الدنيا ومن زخارفها ومن المطامح التى يشق في سبيلها كثير من الازواج والتى يكون لفقدانها أثر سيء فى التفاهم

المنزلي والاطفال رمز تخليد الذات ولها حكمة ومفارقات غريبة كمفارقات الدنيا كلها فقد يعطي الفقير أطفالا لاعداد لهم ويحرم الغني، ولذلك سبب معروف ذلك أن الحياة لا تمن بالكمال المطلق فلا بد من ناحية قصور .

والاطفال في بعض الاحيان تعويض عن المرأة الباردة المزاج التي تقتل في زوجها الاقتحام والطموح فتنبه هذه العوامل حين توجد الاطفال اذ بهم تزهو النفس وتتجدد وتندفع الى الحياة قوية فاتحة

الجمال والذكاء

يورثان الغرور عند الرجل الكؤود والمرأة الطواعية لأهواء الالفاظ التي قد لا تحمل معانيها

ومن باب التغرير بالجمال والذكاء يمكن تخدير أعصاب الرجل والمرأة وتوجيههما إلى غير ما يريدان ، مع أن الجمال في المرأة والذكاء في الرجل يطلبان حصانتهما من آفات الاغترار والجموح حتى يتم لهما الكمال. هما من صفات الكمال

ولكنهما حين يشعران مالكهما بالغرور يفقدانه عدلا آخر بحيث ينخفض مجموع القوى النفسية للفرد أو للذات

والمرأة المثالية هى التى تجمع إلى الجمال الخلق والرجل الكامل هو الذى يزاوج بين الذكاء والدماثة

ولكن قلما يرقي فرد إلى مرتبة الكمال في الرجولة أو الانوثة ، فالمرأة الجميلة يصحبها فى الاغلب نزق وكبرياء

والوراثيات في الاغلب لهـا أكبر الاثر فى تكوين الشخص فماذا يعمل من يرث رداءة الاعصاب من والديه ، وماذا يجدى معه الكبح والمعالجة ؟

الوحدة

— ١ —

البعد عن الوحدة يخلق فى النفس الوحشة ويمنع منها السرور الموصول لأن طول الاجتماع والاضطراب فى المجتمع يملأ القلب جفوة واكتئابا ، فاذا رجع الرجل الممتاز إلى وحدته تخلص من أوهام الانسانية وعاد الى عالم الصفاء

ووضحت أمامه معالم الخير والشر والهدي والضلال التى تحتجب عنه فى ضجيج المجتمع وصخب التزاحم

والانسانية تسمو بالوحدة أكثر مما تسمو بالاجتماع لأن الوحدة إعداد وتركيز وتوجيه وتأمل ،

أعز الله من قال :-

المستعز بوحدة الاسد الذي يأبي التغلغل في القطيع النافر

وصدق من قال : -

« بعض الناس يطلب العزلة طالبا للسلامة من التزيد والافتراء

الوحدة

— ٢ —

هي خير وشر وسعادة وشقاء ونور ونار

هي خير إذا اطمأنت اليها النفس ومضت تنساب هادئة لا يمتلكها وهم ماحق ولا خيال جامح وهى إذ ذاك توحش وتضيق حين يعتريها الهم وتعتورها ألوان من الكآبة

واعتقد موقنا أن الخوف الجاثم فى طبيعة الانسان والذى يجب محاربته بالسيادة على النفس والاعصاب هو الذي يفسد الوحدة ويمضى إلى القلق والاوهام

الوحدة هي عين السعادة فى صحبة كتاب، أو فى محاسبة النفس ولكنها حين تتصل تصبح عادة وكل عادة تتكرر تورث الملل وترد السرور الموصول وتملأ القلب جفوة واكتئابا .

تنزعج النفس من معاشرة الناس فتؤوب الى وحدتها راضية بالخلاص وهذه هى النفس المطمئنة .

وكثير من الناس تزعجه الوحدة ، فيهرع الى الجلبة والصخب ليضيع في صراخها نداءه الداخلى وهذا هو النقص والمرض الذي يطلب المخدر في الاجتماع

والحق أن المعاشرة تنزل بالامتياز الروحى درجة أو درجات لان الفرد محتاج أن يشارك من حوله والمشاركة لا تتصل إلا فى أقل دركات العلم والفهم والادراك

وهذا لا يمنعنا من أن نقبل على الحياة الخارجة اقبال

الرجال . وأن نمتع بما فيها من ألوان زاهيـة وصور خلقت لـكي ترد إلى النفس الاطمئنان .

ولـكن الاعتكاف والوحدة والانصراف عن الناس مطلوب فى بعض الاحايين لتنفرد النفس بجوها الهـادىء الخاص وتتركز فيـه وتنظر إلي ماضيها وحاضرها نظرة الفحص والاختبار .

ولتستمع في هذه الوحدة إلي صوت الضمير مدويا مجلجلا .

وليكن من ذلك الانسجام اعدادجديدللقوي الروحية وشحذ لها وتهيئتها لتواجه الحياة من جديد .

الوحدة صفاء وطهر حين تمضى الروح صادقة الرغبة الى الاعتكاف ترقى بالخيال الشهوى الى صور الفن

الوحدة هى التأمل الهاديء ، الذى ينصرف الى أمور الـكون والى شؤون الحياة والى جمال الطبيعة والى سرائر الناس والى الحوادث ليستخلص منها العبرة وليأخذ منها زاداً يغذى الروح ويفسح جوانبها ويوضح مراميها وأغراضها

السرور

عامل في أعماق النفس لا تظهره غير الحوادث والظروف فالحياة التي تمضي على وتيرة واحدة لا تبرزه ولا تعلنه بل هي على العكس ترده وتضمره لأنها تصدر عن الملل والضيق والحرمان . والمفاجئات السعيدة هي التي تعمل على بعث السرور وإعلانه

والحياة الآسنة الراكدة قد يبدو فيها الفتور موصولا ويصبح صاحبها ويمسى وهو يترقب جديداً من الخير أو الشر يثير مارسب في القاع من الاحساس والشعور

والجهاد في الحياة هو بعض هذا التلوين لصورة الحياة المتكررة ، ونتائج هذا الجهاد من جزاء هي مبعث السرور ؟

ليس السرور هو الابتسام ولا هو الفكاهة ، إنما السرور هو الاطمئنان الداخلي إلى تحسين المصير

الحياة شيء نضر جميل إذ كانت جهادا لهدف أو امتلاكا لهدف ولن تصبر النفس عند هدف واحد ، إنما هي ترنو

إلى هدف آخر حين تمتلك الأول وهي بين الطموح إلى شيء وامتلاكه تتجدد وتطلب وجها جديداً

والنفس حين تركد وحين تنقطع بها أسباب الأمل تذوى منها عوامل الحياة وتتقدم بخطوات واسعة إلى الفناء . فالسرور هنا هو النجاح الذى يحققه بالوصول إلى هدف مرموق .

والسرر ينتج في الأغلب عن التلون والتنقل ،والنفس تشعر بالملل سريعاً وتنشد السرور بمواجهة لون جديد من الحياة فالمال هو أول عناصر السرور وهو العامل الساحر في إيجاد السرور بتلوين الحياة .

والاسفار عامل من عوامل التغيير فهي من عوامل السرور .

وكذلك الموسيقى والطبيعة والمدن والقصور والحدائق والمطالعة والتماثيل عوامل لها قيمتها فى ايجاد السرور

هل السرور لون من ألوان التخدير والعزاء !

لا ! هو عنصر أصيل له جذور فى الطبيعة الانسانية

ولن يصدر عن النفس الا حين تشعر بأنها ينقصها شيء وبأنها موصولة النجاح والانتصار فان زهو الانتصار له أكبر الأثر في ايجاد السرور .

والتلوين والتنويع عامل ثابت في إيجاد السرور ، ولعل الفنون كلها قد قامت لتعزيز هذا العنصر الأصيل

والمرأة خلقها الله لتكون دعامة السرور الاولى بعد المال ففيها الفتنة والحسن والجمال والذوق والمشاركة ، بل لعل كل ألوان الحب والموسيقى والفنون والنضار زخارف تتوج بها وتكلل هامتها

مصدر السرور كمصدر السعادة من النفس ، ومن الاعصاب الهادئة، ومن النفس المبعدة عن الأكدار والرواسب وما الهموم وما الاحزان الا مخاوف وهمية جاءت بالايحاء الى نفوسنا وركزتها غريزة حفظ الذات كالصخر في طرقاتنا

النفس أداة لتهذيب الحياة ، ولا سعادة الا بخلق السرور والبشاشة والأريحية فيها فلنجنح الى التلوين في الحياة لنسعد بسرورها .

الحزن

الحـزن من معالم الانسـانية الواضحة التى لا تحتاج إلى برهان .

وهو عبارة عن الأثر الناتج عن الفـارق بين الواقع والخيال وبين الحـادث والمرغوب فيـه وهو قد ينغمس فى النفوس فيبقي كائنا فى داخلها يبدو ويغيب ، أو يكون ملحا حرجا دائم الظهور .

والفرق بين هذا وذاك فرق فى النفوس ذاتها فهناك نفوس تخفيه وتعرض عنه وتفرج عنه بالفكاهة والهزل وهناك نفوس تحبه وتألفه وتداومه بالذكر والابلاغ

وهو فى بعض ألوانه طبيعـة لا يرتقى إليهـا إلا بعض الاصفياء والممتازين فان الحياة الانسانية لا تستقيم للممتاز ولعله يرى بينها وبين خياله آماداً فهو لا يشعر بالاستقرار الراضى ، لأن الرضى لا يكون إلا عند بلوغ الهدف المرقوب

والرجل العادي يمضي فى الحياة راضيا ، ولـكن الرجل

الممتاز يتمرد دائما نتيجة لما بين واقعه ورغائبه من آماد إن نفوس الممتازين تزخر بالمثل العليا والمبادىء السامية وهى تصطدم بالواقع اللئيم العنيد فيصيبها لألم ومن ثم فهى حزينة أبلغ الحزن.

هؤلاء يجترون أحزانهم أجترارا ويعبونها عبا ويغرقون فيها غير حافلين بالوجود

الصمت

يصدر عن النفس حين تأزم وحين تصل إلى الصفاء والصمت كالثورة عنصر من عناصر الطبيعة الانسانية والصمت مفتاح التأملات فى عالم الحياة. والتأمل فلسفة فى جمال الوجود قائم على صدق الرغبة فى الايمان والصمت فى الحياة هو الدراسة العميقة للآفاق الروحية

—•—

الاختيـار

«تخيروا لنطفكم فان العرق دساس»

تلك نصيحة الأستاذ الأول للانسانية ورسول الاسلام الكريم وهى من أحجار الأساس فى بناء الشخصية الانسانية التي سلمت غرائزها ووراثياتها من الشر

وقد صدق رسول الله فان كل زيادة فى هبة من الهبات من شأنها أن تنقص فى حاسة أخرى من الحواس

والمرأة الجميلة ، يفسد الغرور ما لديها من الخلائق والشمائل والخصال .

والحق أن كثيراً من الناس ، يغريهم الجمال فيرونه الحجر الأول فى بناء شخصية المرأة فما أن يرى أحدهم جميلة حتي يركع وينيب ناسيا التخيير للنطف والبحث وراء الأصول والأعراض كما أوصى الرسول

ليس شك أن الانسانية تشقى بوراثاتها وغرائزها قبل أن تشقى بمعاشراتها وأثر البيئة . فلو تخير الناس لنطفهم ولم

يؤثروا « خضراء الدمن » لجمالها دون النظر إلى مغرسها – لصلح الجيل ولماتت عوامل الظلم والشر والجبن والخور الذي تتسم به الأنساب الضعيفة

إن الاصول على مغارسها تنمو فلابد من الأنساب السليمة لاقامة حائط الأسرة وللاطمئنان على وراثات وغرائز كلها حيوية وقوة وسمو

الجمال في المرأة عنصر له قيمته ولكنه يسبق بالخلق حين حين تصطرع ألوان الحيوية في المرأة . وبالتخير للنطف تسمو الانسانية إلى مثلها الاعلى

التقلب

لعل ما نسميه التقلب هو لون من ألوان النشاط للوصول إلى هدف مرموق استعصى على صاحبه وجهد منه فهو مازال يواجهه من كل جانب ليعمل على اقتحامه والانتصار عليه .

والرجل الصوال القوي العزيمة لا يهن حين يغلب

ولا يتراجع ولا يستسلم إنما هو ماض في طريقه ينقب عن وسائل جديدة وأسلحة جديدة لينفذ إلى هدفه . وقد يعاب التقلب ويرمي صاحبه بأنه لا يعرف الاستقرار والتركيز لأنه يبدو كل يوم في إهاب حالة جديدة ،ولو أننا نظرنا إلي ذلك نظرة نافذة لوجدنا أن هذا من عوامل الحيوية الصادقة الحادة فقد عرف أن الرجل الصامت الساكن الهاديء هو في أغلب الاحيان رجل ضعيف أو رجل مريض أو رجل هيوب

أما الرجل الحاد الحيوية فهو الرجل المتنقل السريع الذى لا يستقر كالطير ، يحلق هنا وهناك ، والتحليق عنده كالاسفاف لأنه انتقال من حالة إلى حالة فقد ترغب النفس فى بعض الأحيان أن تخرج من عقيدة إلي أخري أو من رغبة إلى أخرى تضاد ما قررت من قبل وقد يكون فى إعلان ذلك ما يشعر الواقفين بالمرصاد أن ذلك لون من التقلب وصورة من التلون وقد يرى صاحب الرأى بأنه لا مبدأ له ولا عهد

ولا ثبات أو قد يرمي بالقصور عن التركيز والبعد من الايمان الصادق

ولكن ما من ذلك شيء صحيح، إنما هي النفس تتغير كل يوم وتخرج من بعض المناطق لتغزو مناطق جديدة وهي في ذلك كله تسمي إلي الكمال وهي تنتقل وتقفز من حلقة إلي حلقة تبعا لاحساسها الذي يزداد كل يوم خبرة ودقة وتجربة واصالة وسداداً

والذي يقف عند فكرته قد يكون قاصرا عن توسيع أفق إدراكه لأننا يجب أن نكتسب كل يوم شيئا جديداً ونزداد كل يوم إيغالا في الحياة وقدرة على فهمها وأن نمكن كل يوم لتربية الارادةوالثقة بالنفس والتركيز للقوة

يجب أن تكون كل لحظة مكسبا جديدا للنفس يزيد الروح شعورا بالتنقل والارتقاء في مدارج السمو نحو الانسانية العليا والكمال النسبي

فلا عيب إذاً أن ينتقل الانسان من رأى إلى رأى ومن فكرة إلى فكرة فان ذلك معناه أن الدرس الموصول

قد كشف له عن حقائق كانت غائبة عنه بالامس

ولعل التقلقل والتنقل الذي يرمي صاحبه بمجافاة الاستقرار هو أظهرعوامل الاستقرارفالنفس الصادقةالحس المشبوبة المشاعر لا تقر ولا ترضي إلا حين تواجه الحياة من جوانب متعددة

والرجل الممتلىء حيوية أغلب الأمر رجل عصبي حساس ولا يكون التقلب عنده إلا لونا من الشعور بالحياة وإبلاغ أصداء الحياة إلى روحه فلا تحسبن التقلبمن الوان الجموح والبعد عن التركيز لأنها في أغلب الامر لون من الاستقرار علي وجهة نظر صادقة تتطلب النظر من جميع الجوانب .

الخصومة

الخصومة والخلاف من علائم الحيوية والقوة والقدرة على الاستقلال الذاتي ذلك لأن الموافقة والملاءمة دليل على سيطرة فرد على فرد واستسلام واحد للآخر تسليم الموافق

غير المعارض ولكن الخصومة مصدر شر كبير فهي تخلق في النفوس ثأرات لاتهدأ وتشعل القلب والفكر بالشر بتحول مجرى التفكير كله إذ ينصب على الرغبة في الانتقام

والخصومة الشريفة هي التى تقيس بمقياس العدل وتبعد الظلم والهوي والجور من طريقها وتتخلي عن كل عواملها الشخصية والذاتية لتنظر نظر الصادق المطمئن إلى البعد من الاجحاف والاعنات .

الخصومات والخلافات والاحقاد من أسباب الحيوية والنفوس المتحررة هي التي تخالف وتخاصم وتعادي غير هيابة، ولكن مهلا فان هذه الخصومات تنصب في ميادين ضيقة حتي تفقد ميزتها وتموت فيها المعانى الفاضلة وتتبدد منها آثار الفحولة ، والاسراف في الخصومة يدل علي لون من الحماقة أو الطغيان أو الجهل ، فان لكل شيء حداً ولعل الطموح الوثاب والغيرة الهائلة التي تملأ بعض النفوس فى سبيل العلاء والمجد والكسب خير من الخصومة التي لا تنتج إلا الشر وإلا التفكير في تحطيم الخصم والانتقام منه وسد السبل

أمامه وتصويره للناس بصورة مزرية ورميه بالاتهامات الكواذب دون مراعاة لرادع من ضمير أو وازع من خلق

خير سبيل للانتقام والانتصار على الخصم هو أن ينكفىء الانسان إلي عمله فيهذبه ويبذل كل دم قلبه فيه حتي يلفت اليه الأنظار فيسمو حتي يتضاءل أمامه خصمه وذلك خير نصر عليه

الخصومة الصادقة هي التي تخلق من لهيبها وضرامها قوة إيجابية لاقوة سلبية فتتجه إلى البناء والخلق والقوة والدرس في حماسة واطمئنان حتى تبرز وتفوق

أما الاتجاه السلبي الذي يفكر في الظلم والغدر والانتقام والذي يسرف في ذلك كله فهو يضير الانسانية ويشقيها ويزيدها تخلفا عن السمو المنشود

الشيخوخة

الشيخوخة مرحلة من مراحل الحياة تصل النفس فيها إلى بعض الزهد وإلى بعض الانانية

والنفس فى تلك المرحلة تقبل على التركيز والرحمة والاتزان ولكنها قد توغل فى حب الدنيا وتسرف وتقبل على الحياة إقبال الخائف المرتقب

فى الشيخوخة حكمة ولكنها حكمة الضعف وفيها إيمان ولكنه إيمان العجائز ، فليس في الروح اذ ذاك منزع المقارنة والنضال والثورة على مأثور التقاليد .

الموت

لا يعرف الموت بالقياس الى الميت ولا هو من المطلوب معرفته ، انما جلال الموت وسلطانه يتولى الذين يحيطون بالميت والذين تربطهم به رابطة القرابة والمعرفة

والشباب هو أخطر ما يزعج فى عالم الموت لأن موسمه الحياة الدافقة والجهاد والنضال فاذا مضى الى عالم اللحود جزع له الجميع . والموت هو الأمر الوحيد الذي لا رجعة فى حكمه والذى لا تصلح معه الوساطة ولا الشفاعة ولا الرجاء وهو حين يخطف الخطفة يترك من حوله الشباب ذاهلا

منزعجا فهو قدمضي ولن يعود ، صورة قدمرت ولن تعود إلى الحياة ، أو قبس قدمضى ولا مرد له إلا يوم ينفخ فى الصور

كم من الآلام والأشواق يتركها لأطفاله الرضع ولزوجته وأمه وأهله جميعاً . .

أولئك الذين كانوا يلقونه متهللين ، وكانوا يتخذونه سناداً من الضعف والعجز .

والحق أننا لو فكرنا في الموت تفكيراً جديا لما اقترفنا في دنيانا بعض مانقترف من آثام ولشعرنا بأن الحياة قصيرة تافهة لا قيمة لها وبأن القيمة الحق في الحياة هى الحياة الآخرة حيث نجزى عما صنعت أيدينا في دار المرور. إن الموت ليس بفناء ولكنه طور من أطوار الحياة وهو موعظة كبرى للغافلين . لا موعد للموت ، ولا مصرف له من صحة أو مرض أو شباب أو شيخوخة . أى قيمة لهذه الحياة الفارغة التافهة، وكل ما يسرنا فيها قائم على أساس الامتلاك ؟ والامتلاك فى أغلبه شر قائم على أساس الظلم ، والظلم من الذنوب التى سوف نجزى عليها يوم الحساب شر الجزاء

الفصل الثـــانى

المرأة والحب والجمال

المرأة والفن

الجمـــال

الحب فى الانسانيـة

الزوجيـة

المرأة والحب والجمال

البعد عن ميدان المرأة والقصور فيه مغمز له قيمته فى تكييف مذاهب بعض الكتاب

المرأة تمثل الجانب الاعظم والأخطر والأجل في الحياة وفى الكيان الانسانى كله ولا ينكر أثرها إلا من لم تتصل بينه وبينها علائق من الحب والحرمان

والمرأة لا تمنع رجل الفكر الذى ركز أهدافه من اداء رسالته مهما كان نوع هذه المرأة فهي إما تمده بغذاء روحي هائل يدفعه إلى مدارج الخلود أو أن وجودها نفسه يشعره بالشقاء والحرمان فيخلق له ذلك أفانين من القول

وكم من الأدباء خلدوا بالسعادة والهناء بجوار من خلدتهم ألحانهم ومزاميرهم ونوحاتهم

أما الرجل الذي تقطع المرأة علاقته بعوالم الفكر فهو ليس بأصيل فى دنيا الادب ، هذه الدنيا التى نقدم لها أعصابنا ومشاعرنا وعقولنا ضحية وزكاة

المرأة ملهمة بأحدوجيها ،جمال جسدها أو جمال روحها

المرأة والفن (١)

يجب أن تكون المرأة أداة توجيه لمطامح الرجل وأهدافه فى الحياة

والحياة الزوجية هى أصدق وجوه الحياة ففيها تسعد النفس بأجود ألوان السعادة وهو الهدوء. الهدوء الذي يؤمن الروح من عواطف التقلقل والتمرد الذي يفسد الاهداف ويقتل الخصائص العبقرية الفردية

والرجل المتزوج أقدر من الرجل الاعزب علي مواجهة أعاصير الحياة فهو يلقي من أليفه عونا يعضده ويشد أزره ويقويه في ساحة الجهاد وينزع عن نفسه الاحزان والهواجس فيلقى الحياة وفي نفسه مزيج من الرضي والاطمئنان

والحياة أصعب من أن تقتحم اليوم دون أليف يشارك فيزيل الصعاب ويسهل التوجيه

---

(١) كان فى النية درس هـذا الموضوع بشكل أوضح ولـكنا رأيناه لا يتفق مع المراد من البحث فاحتفظنا به لـكتابنا « عند كعبة الأدب »

والزواج يخلق أهدافا جديدة وألوانا جديدة لا يعرفها الشباب

والطفل الصغير يمد الحياة الزوجية بقيد جديد ويمدها في نفس الوقت باتحاد جديد فهو يزيد الالفة بين الزوجين ويصعب الفراق ويخفف الخلاف ويبعث روحا جديدة

وللزوجة - في الاغلب - فضل تعديل الجوانب المادية والاجتماعية فى حياة الفرد وتركيز خصائصه الروحية وتغليب العقل على الخيال .

الجمـــال

— ١ —

الجمال نعمة من نعم الوجود التي بثها الله فى الكون ليحفل بالخير ولتتم به جوانب الحرية والكمال

هو نعمة ، هو عبادة ، هو ثراء روحى للقلب والعواطف وغذاء للنفوس التى تطلب ما تزود به كما تطلب البطون .

الجمال هو الحلية المزخرفة الزاهيــة التى ترصع هـذا الوجود وتوجد له الطعم الشهي والمعني القوى والسر الرائع

الحياة بفقدان هذا العنصر نار وألم وقتال وخصومة وظلام وأحقاد وأحساد وموت

الحياة بغير الجمـال هى الموت للقلوب والعواطف والمشاعر والاحاسيس .

الجمال عنصر غير محدود ، هو مثبت فى الـكون إلى أعمق أعماقه وإلى أقصى أقاصيه .

خذ الجمال على أنه متعة تزيد كيانك قوة ومادة وتملأ نفسك سرورا وكمالا وقربا من الانسانية العالية ولا تأخذه على أنه الطمع والجشع والرغبة فى الامتلاك والتحكم .

تمتع بالجمال كأي لذات الفن التى تراها فى الادب والقصة والشعر والموسيقى وفنون التمثيل والنحت وصور البحر والسماء والسحاب والامساء والاصباح

ليس للجمال نفاذ ، فاياك أن يملأ قلبك الرهبة والحزن عليه حين يبدو ويغيب فى وجه امرأة أو نحر غانية أو عيون

فتاة ، ولا يملأك الجزع أن تمضى ولم تشف منه مرادك ولم ترو فى قلبك الشوق العاطش فانه سيبدو فى وجه آخر بعد قليل .

خذ الجمال على أنه حر ولا تأخذه على أنه ممـلوك ، ولعله حين يمتلك يفقد ما فيه من سر وسحر . .

وسحر الجمال هجره وتغاضيه ،وسره طهره وصفاؤه ،ولو امتلك لعاد مزهودا فيه ولأصبح تافها ولامتـدت النفس إلى غيره وإلى ماسواه .

الجمال مصدر من مصادر الوحى والخلق والعبقـرية فى الأدب والفن .

وجمال المرأة كجمال الطبيعـة إذا أسر فى الحدود عاد وهو محتاج إلى عنصر جديد يزكيه ويمازجه

فالجمال فى المرأة حـين يمتلك يغدو تافهـاً ضعيفاً فاتراً بالنسبة إلى مالـكه ولكن إذا ظل طليقا مضي وهو يوزع الوحي الالهى الذى يبعث السرور فى الصدور

تمتع بالجمال كما تتمتع بالأدب والتماثيل وألحان الموسيقى

ليس لأى جمال نظير ، فكل جمال في امرأة هو وحدة أصيلة لاصورة لها ، كل جمال له خصائصه الواضحة المستقلة التى لاتتكرر

الجمال هو ذلك الوضع الذي يكونه الجسم والوجه والصوت والدم والذوق والكيان الانساني كله .

قد يكون هناك جمال رائع تفضحه روح تافهة أو لسان سقاط .

الجمال هبة ووراثة وتكوين فلنتمتع به حيث نصادفه فى قصة أو قصيدة أو لحن أو منظر طبيعى أو وجه امرأة

ولكن لم نذكر وجه المرأة حين نذكر الجمال ونجعل له التفضيل على جميع ألوانه ؟؟

المرأةفي الحقيقة هى المعنى الاكبر للجمال فى هذا الوجود فهى التى تعطى القاص والشاعر والملحن والمثال السر الروحي والالهام الفني

والمنظر الطبيعى لا يتم له البهاء والروعة إلا إذا كان ممتزجا بوجه امرأة أو بوحى امرأة

أي قيمة لجمال القمر ، ولحفيف الأشجار والأطيار ، ولصمت الليل ، ولخرير الغدير ، ولجمال الحب ما لم يمازج هذا المنظر خيال امرأة أو وجود امرأة

الجمال هو المرأة فى الأغلب وهو السرور الذي يملأ الروح نشوة وهناءة

فلماذا نحب الجمال ونكلف به ؟

نحب الجمال لما فيه من عناصر الكمال الالهى الخالد فى صورة ما فاذا تلاقت الأرواح كان لهذا الجمال طريقاً جديداً هو الحب

الجمال نزيد الروح قوة وزاداً وخصوبة وقرباً من الانسانية الكاملة ومن الكمال ومن السمو ومن الارتقاء عن مصاف الحيوانية

الجمال زاد الروح والقلب والاحساس فهو يشعرها بالحياة ويبعدها عن الموت والفناء ويمسح عنها شقوات الجهاد

الجمال هو الذى يملأ القلب بالجهاد في ميدان الحياة لامتلاك الهدف المرموق وللوصول إلى المكان الاسمى

الجمال لئيم لأنه يمضي متكبراً مترفعاً مختالا عند من يشقى به ويضعف عنه ولكنه يذل حين يمتلك ولا يمتلك إلا بأن يؤخذ بالقوة أخذ الاسود للقنائص والفرائس

كان الجمال وما زال السر والمصدر لما ظهر عن عباقرة الفكر والفن وكان السبب في ظهور روائع الآثار الأدبية والفنية والشعرية والقصصية والموسيقية وسيظل موضع الرعاية والتقدير ورمز الانسانية العليا ما بقيت قيم العقل والقلب والوجدان. قد يقول بعض المتزمتين إن غريزة حفظ الذات هى السبب فى خلق هذه النزعة الوجدانية التى تحس بالجمال وتنجذب اليه وتشقي لتمتلكه وتقيم معه أواصر الحب والامتلاك ليتم بذلك نظام الكون ونظام التوليد

وكل هذا لا يمنع من استقلال قيم الجمال عن مباحث الغريزة ٠

الجمـــال

— ٢ —

علامته إحداث الهزة المفاجئـة فى النفس وإحـداث السرور .

أما الهزة فلوجود الخيال في ثوب الواقع أمام النفس دون ترقب ولا استعداد ، وأما السرور فلأن الجمال من المثل العليا التى تسعد بها النفس .

والمرأة الجميلة تؤثر في الروح آثارا مختلفة ، بعضها يسر وبعضها يزعج وقـد تتصل بنفوس البعض بالمرح وبنفوس الآخرين بالقلق والجزع ، أما الجزع فلأن النفس حـين ترى الجمال تتوق إلى امتلاكه ، فيزعجها أن تعرف أنه ضنين أو أنه مملوك. والحق أنه يجب أن ننظر إلى جمال المرأة على أنه تحفة فنية لا ينتظر امتلاكها ولا حيازتها ويكفى أن نغذي الروح والعين بها .

ويجب أن يكون الجمال فى المرأة صنو الجمال في الطبيعة

كالقمر والنجوم والبحر والسحب وفى ذلك قتل للقلق والحسرة التى تصاب بها النفس حال شهود الجمال

يعتبر البعض الجمال أظهر صفات المرأة ، وقد يتناطح الجمال والخلق في نظر الآخرين، ولكن الحق أن الجال هو السبيل الى تفضيل الجمال أو الخلق . فان كان حال الزواج فالدرجة الاولى للخلق لأنه دعامة الأسر. وقد قال النبي الرسول « إياكم وخضراء الدمن » والجمال عارض والخلق باق والجمال يتبعه النزق . والزوجية فضلا عن ذلك شركة اجتماعية اقتصادية تفتر زخارفها بعد قليل وتبدو معالمها الراسخة وأظهرها الخلق .

ولكن النظرة إلى الجمال على أنه متعة فنية لا يصدق كثيراً على المرأة ، للقرب الجزئى بينها وبين الرجل ولأنها في الاصل أداة متأهبة لأن تمتلك ولكن كيف للنفس الطاغية أن تمتلك كل جمال ولكل جمال سره وسحره وفتنته وقد عرف عن النفس الانسانية أنها تجافى القناعة وتنزع إلى الطغيان وخاصه حينما تمنح ذلك السلاح التيار الذى

يدعونه المـال ، وبالمال تذل رقاب الاسود .

تزهد النفس فى كل مملوك ويبدو أمامها فاتراً لابهاء فيه لتكرار النظر اليـه وترغب النفس في كل هارب نافر من الشباك .

والحق الذى لا شك فيه أن الجمال في المرأة لون من الهبات الالهية الصادقة التي يجب أن تكون متاعا خالصاً بريئا غير محفوف بالرغبة ولا الجنس ولا الامتلاك، وفى ذلك ارتقاء روحى فى مدارج الكمال الانساني

الحب في الانسانية

أى قلب لم يضنه الحب ولم يشقه الغرام؟

إن النفوس الشاعرة تنشد المرأة كما تنشد نعمة الجمال فى الطبيعة والفنون . فالمرأة عنصر لاغنى عنه فى الحياة ، وهى جزء مكمل لنظام الوجود لاقيام له بدونها وهى والرجل شق نواة ، فكيف لا يتصل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل

وكيف لا يقوم بينهما الحب والود والخصام والعناد والقرب والابتعاد ؟

الأرواح جنود مجندة ، لابد لها أن تأتلف مع أرواح أخرى فى عوالم النساء ، قد تكون هذه الأرواح محجوبة عنها بحكم النظم الطبيعية والاجتماعية ، ولكن الحب يخرق هذه الحجب وينفذ من هذه النظم ويخلق له جواً سحريا رائعاً كله خوف وفكر وأرق ودموع ووصال ووعود ولقاء

ويا أقل مايكون الحب حراً مباحاً طليقا ، ليس فيه جفاء ولا مخاوف ، ولعل هذا اللون الطلق أبعد ما يكون عن روعة الحب وجماله وعذوبته فان عذوبة الحب فى التحريق والالتياع والشوق والحنين والخوف والجفاء والاخلاف

وأخلص الحب ما كان إنكار الذات فيه أبلغ معانيه وأظهر ألوانه فيحب الرجل المرأة لذاتها لا لميزة فيها . وقلما يكون هذا اللون معروفا فيندر أن تحب المرأة رجلا إلا وهى ترنو من وراء هذا الحب إلى صلة به أو مادة أو زواج ، وقلما يحب الرجل . .

إن غريزة البقاء هي التي تمزج بين الرجل والمرأة وتخلق الحب خلقا لتوجد بين الأرواح توافقا ، يملي على الشهوة فالنسل . . ولكن الحب نفسه فن من فنون الاسعاد والهناءة فى الحياة ، كالمال والجمال والمجد والجاه . فبالحب تسمو النفوس إلى طلب العلا ، وكم من حب حول الدنيا ولون الوجود وخلق فنونا من الفكر والبيان وأثر فى المجتمع والحياة .

إن حسن الطبيعة لا يكمل إلا بالحب والجمال

ما فائدة السماء الصافية والنجوم الزاهية والقمر المشرق والبحر الاملس والأشجار المتراقصة الأغصان دون وجه محبوب يسعد ويناغم ويملأ الدنيا فرحا وبهجة

الحب سلطان قهار له قانونه الخارق لكل القوانين ، فهو لا يعرف الوجوه ولا المال ولا يعرف كيف يختار إنما هو يلق شباكه أينما يخفق القلب فتختفى من أمامه القيود والقوانين والرسوم ويري أنه لقي الامثل والاعلى والاكمل .

وكل العيوب تتواري فى الحب فلا تتضح بل قد تكون نفس العيوب محاسن ، لأنها تنقص في أحدهما فتكتمل بالثاني

وأنت حين تبحث عن عوامله لا تعرف إلا أن روحا قد لقيت روحا أخرى فعانقتها وائتلفت بها ، وان نقصا في نفس قد لقى زيادة فى نفس اخرى فعشق واتصل وشعر بالهناء للقاء الوجه المنشود .

الحب ليس بالحيلة ولا بالمعرفة ولا بالبحث، إنما هو لقاء خاطف سريع، يخلق في النفس مكانا ولوعة وشوقا فاذا تبودل خف أله وبانت حلاوته وإن لم يقابل فانه يظل مزعجا مؤلما محرقا للكبد والاعصاب .

والحب فى اغلب امره يظهر من المرأة فهي التى تملك في قلبها معالم الرجل الذى يسعدها والذى تأتلف به ، فهي ما إن تراه حتي تناوشه من وراء ستار وتظهر له انها لا تعني به ، وانه لا يمر بقلبها وتتجاهله وتتباله لاشاراته وتمهد إلى اماكن لقائه فتختفى عنها وقتا طويلا حتي يشعر باللوعة وحتي يؤمن بأنه هو الصائد والطارد

وتظل تبدو وتغيب ، وكأنها لاتعرفه ، وكأنها تجهله وهي فى نفس الوقت تدبر له اساليب الاقتناص وتتمنى ان تراه يأمرها فتأتمر وينهرها فتطيع

والمرأة في الحب لا يسعدها غير القوة والسيطرة والاستبداد فهي التى تشعرها بالسعادة لأن فى دم المرأة الخوف وهي حين تحب الرجل ، إنما تحب فيه سلطانه وجاهه وقوته وقدرته على حمايتها واستئساده في سبيل إعزازها ومعاشها .

وقد تحول نظم المجتمع وأوضاع الحياة دون وصل الحب بل قد تمعن فى تشريده والكيد له ولكنه يظل على التشريد والكيد قويا له نداء مسموع بين القلوب .

وما أشقى الحب بين رجل وامرأة لا سبيل إلى اللقاء بينهما فما يفيد الجهاد فيه ولا السهر عليه . ولعله حين يطول يعلم الخلق الوفي .فيحب الرجل المرأة لنفسها وسعادتها ويسر لهنائها ويعمل على مايزيدها غبطة ولو كان ذلك باخفائه أو نسيانه وتعمل المرأة . . !

الحب فى الانسانية

— ٢ —

الحب لا يؤمن بمقاييس الجمال فهو نشوة تطغي على الحقائق نفسها وتحولها إلى جانبها فقد يحب الرجل امرأة لا جمال فيها. ولكن القلب لا يسأل أين يقع ولعله يعشق فى الدميمة دمامتها لانه قد استطاع أن يمتلك الحسن فيكون قد زهد الجمال وتاق إلى جمال الذوق والصوت مما يفتقده في الاولي ويجده فى الثانية .

وطبيعى أن كل نقص في جانب يسوده اكتمال فى جانب آخر ، فالدميمة قد تكون ذكية أو جميلة الذوق أو خفيفة الروح أو ريانة الجسد ، والانسان تتشعب رغائبه ومواضع أمانيه وتتحول بين آن وآن وكلما امتلك منها لونا بدا حائلا وأحب لونا غيره

والحب عند المتزوج أصدق منه عند الأعزب لأنه يمثل الجزء الناشز في حياته الزوجية ونظرة المتزوج — إلى

الجمال – فى الحق نظرة تجريدية فيها كثير من الصدق عما فى نظرة الحدث الأعزب المشبوب صدره بالنزعات الجنسية

وقد يحب المتزوج ولا عجب ، فالنزعة الشعرية السماوية فى بعض النفوس والعطش الروحي الذى لا يوجد في أغلب الحيوات الزوجية قد يكون سبب الحب

ليس شيء هناك أروع وأسعد للنفس من شعورها بأن هناك قلبا يعطف عليها ويحب ويرنو ويملأ الفراغ الموصول بالالم والتفاهة والتكرار ، غنى وخصبا .

هذا القلب المحب ، لا يصله بك قرابة من دين ولا من وطن ، إنما هو قلب قد مال فأنس قلبا مثله ردد ما عنده من ألحان فاصطفاه من بين القلوب ورضيه ورمز اليه

مهما قيل إنه يحب ، فهو يحب بالرغم منه ، والحب أوهام تملأ النفس ، قد تخلقها النفس خلقا حين ترى المحب يوجه اليها سهام اللحاظ فتظن أن هذا قلب وفى ، ولكن الشك ما يلبث يجثم على النفس ولكن اللقاء المتبادل يقتل

ذلك الشك ويحـل محله إيمان مطلق صادق بما يكنه هـذا القلب من مبادلة الوفاء .

وفي هذه الأثناء يكون ذلك القلب المواجه يخطو مع صاحبه خطوة أخري في ميدان الوصال

لاتحول الحوائل المادية بين القلوب ولا يكون للحرمان من اللقاء أثر في الجفاء . فأى وجه يبرز من نافذة أو شرفة كفيل بأن يعقد أواصر الوفاء مع وجه آخر يلقاه بين آن وآن دون ان يتبادلا كلمة او نبرة او إشارة

إن مجرد النظرة المتبادلة كافية لأن توقد فى قلب المحب ناراً مؤججة ، وكفيلة بأن تغمر القلب بالشوق الجارف الغلاب، وان تشعر كل منهما بالسعادة في هذه النظرة الخاطفة التي يتبادلانها بين آن وآن .

إن هذه النظرة المتبادلة كفيلة بأن تملأ القلب سعادة وهناء ونشوة

فالدنيا كلها جهاد وتعب ونضال مادى مملوك فاذا جاءت هذه اللمحة السماوية النورانيـة بين آن وآن بددت الشقاء

ووضعت فى القلب نورا جديدا وهناء جديداً

ولكن هذه النظرة المتبادلة أيضا كفيلة بأن تحل فى القلب مع عنصر السرور القوى الغلاب عنصرا من الالم الدفين وقد يمتزج السرور الغلاب والألم البالغ فى صورة واحدة تشقي صاحبها كل الشقاء .

ولكن لم الحسرة والالم ؟

إن مصدرها الرغبة النفسية الآدمية اللئيمة ، رغبة الامتلاك والسيادة والسلطان علي ذلك الوجه الجميل وما حوله من هالة الفتون. ولكنا لو نظرنا إلى ذلك الحسن نظرتنا إلى جمال القمر والطبيعة لاستطعنا أن نمتع بكل صور الجمال دون أن نكرع أكواب العلقم ممتزجة بذلك السرور

إن فى النفس نزعة صادقة راغبة إلى الاكتناه والكشف والبحث وراء المجهول ، فما أن تصادف النفس وجها جميلا حتى تراها طامعة إلي ما وراءه من سرائر ومعانى، وإلى ماوراءه من مشاعر وأحاسيس

الحب فى الانسانية

— ٣ —

الحياة مليئة بالجوانب الفاضحة والمادية والمتهالكة على الاجساد والشهوات ، رجالا ونساء ، فى كل مكان وفى كل بلد. فالشهوة الجنسية شيء من صميم التكوين الآدمي ولكنه يفصح في مجال ويتلاشي فى مجال آخر : يفصح حين تخف وطأة الدين والخلق والروحية والعقيدة والسمو النفسي والقانون، ويخمد ويخفت حين تعلو هذه الصيحات وتيقظ فى النفوس معاني الايمان والخلق والخير

والشهوة فى أمر الحب ـ الحب العبقري ـ أول معاول الهدم وأكبرها أثرا في تردى الفنان وتقلص ظلاله وألوانه

الشاعر ينطلق وله على كل فنن أغرودة ، وله مع كل غصن قصة ، ولكنها كلها أسباب للالهام ورغبات طامحة لاستكمال أدوات الفن

والفنان ، مثالا كان أو شاعراً أو موسيقيا أو ممثلا

محتاج دائما إلى نماذج جديدة يلقاها في الحياة فيأخذ منها الوحي ويستمليها الخيال ويعرف منها صور الحب والحرمان

والمثال الطهر العف الذى يقول ويسمع ويرى وينظر والذى يحرم أكثر مما يعطى والذي يرفض أكثر مما يقبل يلق المداد الأول للفن فإذا اصطدم ذلك بالشهوة وارتبط بالرغبة ضاع جوهره وتبدد سره واقتضت مسوحه وبعثرت قدسيته. فاصرفوا الشهوات عن الفن ليسمو واصرفوا الأهواء عن الأدب ليتطهر . فإذا انصرفا رقيا بصاحبهما أول مدارج الخلود .

والحب لا يؤمن بمقاييس الجمال فهو نشوة تطغى على الحقائق نفسها وتحولها الى جانبها وما الحقائق فى الواقع إلا الايحاء الذى توجده فى نفوسنا صورة ما أو شعورنا نحو شيء ما فقد يحب الرجل امرأة لا جمال فيها ولكن القلب لا يسأل أين يقع ؟ ولعله يعشق الدمامة حين يمتلك الحسن وهذا لون من الغلو نفسره بانه ينشد الجمال الروحى فى المرأة الدميمة وقد فقده فى المرأة الجميلة . والذوق والجمال والخلق

لا تجتمع فى امرأة ما ، وكل نقص فى جانب يسوده اكتمال فى جانب آخر

والانسان لا يعرف رغباته ولا مواضع هواه فهو قد ينفر من الجمال إلى الذكاء أو من الذكاء إلى الذوق السليم والحق أن الحب محور هائل تدور على رحاه معانى الدنيا جميعا

هو بارقة من بوارق العين تملأ القلب ثورة وتصده عن عمل الفكر . وتوقف الذهن عن الانطلاق

هو صلة بين قلبين لا أساس لها إلا من النظرة التى استقرت في الاحشاء

ومن شأن الحب أن يزود القلب بعوامل القوة للجهاد ومن شأنه كذلك أن يشق لصاحبه طريق المجد وسبيل النجاح

* * *

وبعض الناس يحب لكي يدرس سرأر الحب ويتلهف على الجمال ليفهم أسراره . ولأسماء المعشوقات رنين قتال

وقد يحب الرجل أحيانا ولا يجد مبادلة في الحب ولكن الحب يعصف به ويطغي فيصاب بالشوق الجارف والحرمان القتال ولا يستطيع أن يخلص من عقابيل هذا

الحب بالرغم من شعوره بأن صاحبه ينكره ولا يحفل به

وقد يحب الشاب ويحب المتزوج ولكن بين حبيهما بعض الاختلاف ، يحب الشاب صورة مطامحه في دنيا الزواج ويبنى أغلب خياله علي صورة الزوجة ويحب المتزوج فى معشوقته الألوان التى فقدها فى زوجه

* * *

ماهو الهدى وما هو الضلال فى الحب ؟

ذلك أمر يتعلق بالمحب نفسه، والاغلب أن العاشق مفتون بالصور التي يتعلق بها حتي ليراها أمثل الصور وحتى يصبح كل جميل فى نظرة أقل درجة من الجمال المعبود .

والهدى في الحب هو النظر اليه لغير غرض ولغير غاية إلا الحب نفسه ، وإلا فهو حب ملوث تغلب عليه الرغبة التي تنزل به إلى الحضيض .

صحيح أن هنالك بنات الهوي ، ولكنهن غير صادقات الحب ، فهن يدعينه لغرض معروف ، ويحترفنه لياً كان منه

ولكن الحب القائم بين فتي وفتاة ، أو بين رجل وامرأة فهو فى الحق سمو بالنفس الانسانية إلى عوالم الالهام

والخير والجمال المجرد والدنيا لا تهب الحب والجمال إلا لتزيد الانسانية سمواً وسعادة وتبعدها عن هوة الشقاء الجاثمة في المتاعب المرهقه المرة التي يفرضها مطلب الحياة نفسه ، فالحب إما صلة خالصة تقصد لذاتها ، وإما هو بدء صلة زوجية يمهد لها ويمكن .

والعفاف هو الذي يخلق فى الحب جانب الفن وجانب السمو .

أما التلويث فانه يحده بحدود من الشهوة تفسده وتضعفه فى حيزه فلا يطوي الأزمان والأجيال خالداً ، وهو نزيف كل ما سلف من صور الود والحب والمناجاة .

والحق أن الوهم والايحاء لهما فى الحب أثر كبير . . فهما يخلقان فيه ماليس له وجود فى عالم الحقيقة ، وما زال المرء يوحى إلى نفسه جمال المرأة وحسنها ورقة صوتها وذكاء عقلها وعذوبة منطقها حتى يصبح ذلك كله بينه وبين نفسه حقيقة واقعة .

والحق أن التفرد بصاحبة واحدة يوحد القلب لها

ولكن المقارنة هى السر في خلق روح التمرد في النفس فتزهد فيما تملك نتتطلع من جديد إلى وجه أشد روعة وفتنة

والحق أن الحب يصدر فى الاغلب عن اطمئنان داخلى وتجاوب روحى لاعلاقة له إطلاقا بالجمال ولا بالمزايا الفنية إنما تلك تعلات يستعملها العقل ليؤكد حسن الاختيار ويبرهن علي جودة الصاحب الممتلك

والحب فى الواقع لون من السيطرة والامتلاك فحسب ، ترغب النفس اليه لتستكمل ما فيها من نداء طبيعى هو فى ذاته نداء النواة المنقسمة بين الرجل والمرأة ، وهو نداء النفس التى تشعر بالنقص فيها وترغب لاستكماله بالمرأة وهو نداء الكبرياء الانسانى والرجولة الغنية الخصبة الراغبة إلى الامتلاك والسيطرة : إمتلاك الجمال والسيطرة على المرأة

والمرأة تحب فى الرجل قوته وسيطرته وهو يحب فيها أنوثتها وجمالها

الزوجيـة

الرجل المتزوج أقدر من الرجل الاعزب على مواجهة أعاصير الحياة ، فهو يلقى من أهله عوناً يعضده ويشد أزره ويقويه فى ساحة الجهاد وينزع من نفسه الاحزان والهواجس التى تعتمل فى صـدر الاعزب فيلقى الحيـاة وفى نفسه مزيج من الرضى والطموح . والحيـاة أصعب من أن تقتحم دون أليف يشارك فيزيل الصعاب ويهذب التوجيه

وقد صدق القـلم الذى قال إن العقلاء من الرجال يتزوجون كي يجـدوا سكناً روحيا ، هذا السكن الروحي له مطالب تستغرق من الزوجة أغلب وقتها إن لم يكن وقتها كله فتفكيرها كله وبخاصـة إذا كانت زوجة رجـل عبقري فالعباقرة والفنانون فى حياتهم الخاصة أطفال كبار ..

والحق أن الانسانية تقضى بخلق هذا الجو الحنون حول الرجل فى المنزل ومن الالوان المختلفة التي تخلق الزوجة

تجد الزوجية هناءتها ممثلة في السيطرة والغيرة والاعجاب والطمأنينة ومحو القلق

وبذلك تتركز أهداف الرجل وتترفع اتجاهاته وتقوى رغبته في مطامحه

أين هذه المرأة التي تخلق الجو الفني ؟

المرأة عندنا إما ربة منزل تعرف شئون المأكل والمشرب ، تعرف أن واجبها في المنزل وحده وتنصرف اليه فتنسى أن تقيم بينها وبين زوجها علاقة روحية . وإما امرأة رائعة الجمال ، مشغولة دأئما بجمالها عما سواه وكلتاهما شر ، وكلتاهما لاتقيم الوضع الطبيعي للاسرة ولا تخلق السمو والسعادة في بيئتها .

الفصل الثالث

الخير والشر

النفس الانسانية

الشخصية الانسانية

الخلق الانساني

الخير والشر

الانسان الكامل

المزية الانسانية

الطبع والخلق

أمراض الشخصية

خضم الحياة

الحياة الآخرة

النفس الانسانية

— ١ —

الطبيعة البشرية تتقاسمها عوامل الخير والشر ، والأديان هى دعوة تغليب الخير ونصرته وهزم الشر ومحقه ولكن عوامل الشر أغلب في الانسان لأنها من عوامل الهدم فهي أسهل وألذ .

أما عوامل الخير فهي عوامل بناء والبناء جهد لا تقوم به إلا نفوس غلبت عليها سمات الصدق واطمأنت إلى الوفاء والخلق والدين. والضمير مقياس واضح فى تحويل النفس إلى الخير وردها عن الشر

ولكنه خارجه يحتاج إلي المراقبة واليقظة والجهاد حتي يتم له سلطانه ويبلغ أشده فاذا أهمل تغلبت عوامل الشر عليه فأردته . وغريزة حب البقاء هي السر فى ذلك التقاتل على الحياة وهى السر أيضا فى انصراف الفرد إلى الرذائل حينما تسد أمامه أبواب الرزق الحلال

ولعل هـذا هو السر فى نزعـة التمرد التى تطغى على الافراد طغيانا عنيفاً هذه الايام والسر فى التحاسد والانسياق وراء شهوات الاغتياب

ولعل هذا في الواقع خير من التشاؤم الذى تضطرم به النفوس الفتية هذه الايام فتصرفهم عن الجهاد فى الحياة وعن الطموح فيها وعن خلق هدف صادق تسدد اليه الطعنات

فالسخط والتبرم شر من التمرد والتقاتل فان الاول يدل على الضعف عن مواجهة لهب الحياة والثاني يؤكد القدرة علي الاندفاع .

* * *

تتحول النفس من حال إلى حال وتنتقل من لون إلى لون ، فاذا هي بين عشية وضحاها تكلف بما كانت تزهده والانسان فيما يبدو عبد أعصابه فهى التي تصرفه فى أغلب الاحيان .

فاذا كانت بطبيعتها ثائرة هائجـة فانها قلما تدفع عن الهياج مهما حاول صاحبها إحكامها والسيطرة عليهـا و كسر حدة سلطانها . ويبدو أيضا أن الفراغ نفسه له أثر بالغ في

تحويل مجارى الطبيعة إلى ألوان قد تزهدفيها النفس وتنساها في حالات العمل العقلى الموصول. ففترات الفراغ من شأنها أن تصرف الانسان عن سلطان العقل إلي رخاوة الوجدان وإلى التحلل من سلطان القيود الفكرية الثقيلة إلى ألوان من التهافت على المتع والمغريات

ويبدو أيضا أن للروحية سلطاناً يطغى بالنفس بعض الاحيان حين تنصرف النفس عن مغرياتها إلى تذوق الحكمة ولتزكية بالعلائم القرآنية فى مجافاة الدنيا وانتظار التعويض الآخر ، ذلك التعويض الذى قلما يساويه ما فيالدنيا من متع وزخارف وغرور

والنفس حين تتحول من النزعة الوجدانية المنزعجة الراغبة إلى التحرر والطلاقة إلى النزعة الصوفية المتزمتة الراغبة إلى التعويض الآخر تبدي شعور الهرم الذى يمر بالنفس بين آن وآن

والنعيم المادى المترف أكبرمؤثرعلى الواجب الروحى والشعور الانساني الحساس الذي لا يتغطرس ولا يعلو ،

والذي ينسى الفقير والمعوز والجائع والمظلوم فلا يعرف الاحسان أو حق القرابة .

والحق أن الترف خطر روحي ، فهو ينسي ما في الدنيا من ألوان الشقاء فتمضي حافلة باطايب الترف في الطعام واللباس فيحول ذلك كله بينها وبين الجهاد وبينها وبين الله .

النفس الانسانية

— ٢ —

النفس الصادقة الحس المشبوبة المشاعر لا تقر ولا ترضى إلا حين تواجه الحياة من جوانب متعددة وألوان مختلفة وصور غير متشابهة والرجل الممتلىء حيوية أغلب الامر رجل عصبي حساس

* * *

تحمل النفوس الخجلى في أطوائها أرواحا ثائرة متمردة راغبة إلى الظفر والانتقام

* * *

الصراحة معناها الثقة بالنفس والمداورة ترمز إلى النقص الطبيعي الراغب إلى اخفاء ضعفه وراء مجافاة الصراحة

« رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه »

هذا أثر عن الرسول الكريم لو أخذناه وأمعنا النظر فيه لاقتنعنا بصدقه ولو وضعنا نفسنا منه موضع التجربة لانتفت من العالم بعض ماهنالك من أسباب الطغيان والظلم والتمرد والاستعلاء بغير الحق

* * *

ترتد النفس في كثير من الحالات عن أمانيها ارتداد الامتلاء بها والافعام منها وليس ارتداد الكراهية لها والرغبة عنها

* * *

الغضب يعكر الرواسب الساكنة في القاع

* * *

عرف بالتجربة أن الرجل الساكن هو فى أغلب الأحيان رجل ضعيف أو رجل مريض أو رجل هيوب

ولا يمنع ذلك أن يكون الصمت من علامات الاحتراز لا النكوص ومن رموز الاختيار لاالهمود .

* * *

تنتقل عدوي الاكتئاب والفرح من فرد إلى فرد وينتاب النفس صعود وهبوط ، ومد وجزر وتأتي عليها أوقات تبدو

سعيدة راضية ثم تأتي أخري تتعقد فيها وتضيق دون سبب واضح والغضب هو نتيجة الفارق بين المنتظر والواقع وبين المتوقع والحادث

الشخصية الانسانية

الانسان على أي صورة ما شاء ركبه ربه، فما يستطيع أن ينطوى أو ينفرد إلا فى حدود ذاتيته وكيانه الخاص ونحن حين نطالبه بأكثر من ذلك إنما نطالبه بالمستحيل لأن طبيعته تقصر عن أن تزيد

لا بد للانسان أن يكون صاحب هدف يملأ عليه أيامه ولياليه ويشغله الأصباح والأمساء وأن يكون لهذا الهدف رائحة العطر وطيف الحسناء التى مرت فخفق لها القلب ولما تعد.

والانسان بغير هدف وبغير طريق يرسمه فى ذهنه ثم يرسمه بعصاه على الرمال ثم ينحته فى الصخر الاصم لا تكتمل فيه الانسانية بل تظل ناقصة مبتورة تزداد بالايام تفاهة وضعفا ولا يمكن للانسانية أن تسمو وتسود ما لم تعرف

نفوس أفرادها الاهداف التى تتجه اليها وتنشغل بها هذه الأهداف التى تنتج عن الهوايات المعتملة فى النفوس، فلطالما توجه الحياة الفرد إلى عمل لا يجد من نفسه ميلا اليه أو رغبة فيه إنما يعمله ليعيش وهو لا يبثه من روحه ولا من شعوره ذلك الفيض الذى يسبغ على الفنون روحا عبقريا حين تمتلك النفس هوية ما ، فترغب اليها وتؤمن بها وتجد من أعماقها تخصصاً فيها

والثقافة والمطالعة والمباشرة والثروة تحسن الاستعداد وتزيد فى القوة الانسانية الى حدود طاقتها الطبيعية ولكنها لا تستطيع أن تخلق جديداً أو تبتدع شيئا لاجذور عميقة له فى تربة الفرد

والعزوبة هى أصدق الفترات خلقا للشخصية الانسانية وأحفلها وأبرزها فما ينتج المرء كثيراً في زوجيته إلا وهو يستمد القوة من أهدافه التى رسم من قبل ، وهي التي تضع القوائم الثابتة للحياة الانسانية الصادقة لأن فيها القوة

والشباب والدم والفوار وفيها الاعجاب بالمثل العليا والصور المثلى وفيها الرغبة إلى المجدوإلى الحب

وفيها اتخاذ الحب سلما للمجد ودافعا إلى النضال المتوقد الثوار فى سبيل الهدف المرموق ، وفيها التخلص من القيود والقدرة على الضرب فى الارض ،والحرية في اختيار الموارد والمناهل ، وفيها الاعتداد وانتفاء الاذعان الذى تخلقه الحاجة بعد الزواج ،وفيها الرغبة إلى السمو وتمثل الابطال بصورة الانبياء.

الخلق الانساني

يصدر الخلق الانسانى بناء على قوى إنسانية كامنة كالعقل والغريزة فهو متعلق بهما ،منصرف باتجاههما كما أنه يتركز أكبر ارتكاز على التربية الاولى وعلى الوراثات وعلى البيئة ولذلك فمن المحال أن نطلب من الخلق الانساني السمو المثالى إلا إذا تغيرت ظروف البيئات والتربية ذاتها

وإهمال الخلق الانسانى وتدهوره سبب بالغ من أسباب

الركود ومن دواعى قتل ضمير الانسانية . وضمير الانسانية الحق هو الاخلاق . والخلق والدين هما السبب الوحيد الذي يسمو بالانسانية الى الآفاق العليا ،وتدهور الخلق ورقة الدين هما سر الفشل الروحي والاندحار الانسانى كله

والعيب الظاهر فى الخلق الانسانى هو وقوفه فى دائرة ضيقة ، هى دائرة ذاته ، ودائرة أنانيته ، ودائرة مطالبه الشخصية وأعماله الخاصة ، لا النظر البعيد إلى خلق القوى الأممية والانسانية . والانقطاع عن تدعيم البنيان الانساني نفسه سبب من أسباب التدهور والفشل والموت الروحى للضمير كله .

وأبلغ العيوب أثراً في الخلق هي إصابة الانسانية في هذا الجيل بحمى الشهوات ، والذى ساعد علي هذا الوباء ما جلبته الحضارة من الزخرف والتبرج الذي أباح هذه الشهوات وعاون على اذاعتها واعلانها حين أبيح للمرأة الخروج علي الحد المحدود ، إلى التبذل والعرى ، واعلان ماخفى وإظهار مااستسر وماكان وراء ذلك من نتائج الانزلاق

المحرم إلى أودية الهوي وأضاليل اللذات .

ويكاد الاجماع يرى أن الحضارة الحديثة هى السر فى اضطراب الانسانية وفشلها من الناحية الخلقية وبعدها عن الاطمئنان والسمو الذى كانت تعرفه حين اطمأنت الى الأديان فحسب . وحين كانت مبعدة عن عوامل اللذة والترف البالغ الذى أغراها بالضرب في الأرض ابتغاء المال وما وراء المال من نعم . كان من شأنها أن تزهد فى الدين وتصرف عنه وتتنكر له القلوب التي طالما اطمأنت اليه .

ومضطرب الحياة الانسانية نفسه يحرف القوي نحو لذة العمل والجهاد فى سبيل العيش دون مراعاة للضمير الذي يزيد الحقائق ويفرق بين الحلال والحرام والخير والشر . .

ومعنى هذا أن الضعيف والفقير ، لا يأخذ حظه من العيش إلا فضلة الأقوياء لأنه لا يستطيع المزاحمة في ذلك الخضم الصخاب .

ومعنى هـذا أن الراغبين الى المثالية لا يمكنهم تنفيذها

بصفة جدية فى المجتمع فهى ماتلبث أن تصبح كلاماً فى كلام يقرأ فى الكتب ، ويتشدق به النـاس فى المجالس . لأن الرجل الذي يقف مكتوف اليدين والباخرة تسير فى انتظار وفاء الطبيعة الانسانية بمثلها الأخلاقيـة العليا رجل ضعيف العقـل .

فالعيب كله فى الكيان الروحي كله ، ذلك الكيان الذى ضعف وجمد وانتفت منه عوامل الخير .

وباصلاح الكيان الروحي يتم صلاح الانسانية ويتم دفعها من جديد نحو آفاق السمو الانسانى الخلق والرجعة الى الدين هى العلاج الوحيد الكفيل بهذا الاصلاح

والنضال من صور الرجولة في الحيـاة والرجل الذى لاتحوجه الحيـاة للنضال يظل رخواً ترهبه أخف الحادثات ولا تصلب أعصابه لمواجهة الكوارث .

وهى من طبائع الفقير ، لأنه هو الذي ترغمه الحياة على الضرب في الارض للبحث عن الرزق .

ولذلك عرفت المجازفة عن الفقير المقل ولم تعرف عن

الغنى ، لأن الغنى يخاف إن أقدم على المجازفة أن تهزمه الدنيا وترده إلى الاملاق ، ولكن المقل لا يتهيب لأنه بين الثروة والغني وبين حاله عينها .

والأغلب أن المجازفة بالطبع أكثر منها بالاكتساب وهي تخف بالثروة لأن الثروات الطارئة تورث الشح والجبن والخوف وتتهيب الزوال المباغت

والذين ولدوا فى الثروات قلما ينتصرون فى ميدان الحياة ، وقلما يعرف عنهم النضال لأن الحاجة هى أم الاختراع فما الذي يدعو الموسر المترف الى النضال مادام موفقاً الى مطالبه كلها على أكمل وجه .

والفريق المنهزم فى الانسانية هو الذى يخاف النضال ويخشى المجازفة وهو بعد غض الاهاب ، دافق القوة

على الشباب أن يعرف هدفه صادقا وأن يتوجه إليه خالصاً وأن يجاهد في سبيله جهاد الأبطال حتي يفوز .

والانسان عبد وراثاته وأسير أعصابه ، والبخل والكرم عنده مما يتبع الوراثة والأعصاب ، فقد يكون

الكرم ذاته خللا فى الأعصاب أو مسببا عن نقص فى مركب الفرد يطلب الاكتمال بهذه الخلة أو تلك الصفة .

كذلك البخل فقد يكون مصدر وراثة لا يمكن الافلات منه مهما عرف بالايقان .

إن الخلق والدين يحضان على ألا تجمل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، ولكن يجب الحد من الكرم والبخل حتي يمضي الأخذ والعطاء بلا إسراف في إحدي كفتي الميزان

والكرم من الفضائل لأن الانسانية في حاجة إلى أن ينفق الغنى من ماله ليطعم بطونا جائعة ، ويكسو أجساداً عارية في حاجة الى هذا الانفاق .

ولكن الأسف يحز فى النفس حين ترى الكرم أصبح من أدوات الظهور والشهرة والتحدث فى الأسمار وأنه انصرف الى قضاء المصالح والتفاخر بدعوة الأكابر من القوم فحسب .

الخير والشر

يبدو أن المثالية الأخلاقية صورة وجدانية خيالية لاتتحقق إطلاقا إذ أن الحياة تضطر الأفراد الى نسيان الألوان الأخلاقية الخالصة ، أو هى تحول بين حدوث ذلك طالما للفرد بالمجتمع علاقات تعامل وصلة اختلاط ، ولا تتحقق المثالية الخلقية إلا للفرد الصوفى الزاهد ، الذي استطاع أن يتخلص من المجتمع والذى آثر الخلوة بنفسه . والحياة نفسها ترغم على تجاهل المثالية الأخلاقية لعدة أسباب : منها التزاحم والتضارب والتكالب الذى يتطلبه السعى الى الرزق ، ولا يمكن أن تتم المثالية إلا اذا زاولها المجتمع كله ، واجتهد فى تعميمها .

وكيف لفرد أن يستطيع الوقوف في وسط الخضم أو تجاهل الأمواج ، أو نسيان الصخور والجنادل التي يتعثر فيها الفرد الراغب إلي السمو الخلقى وحده ؟

فالمثالية الأخلاقية يجب أن تكون مدرسة اجتماعية

لا صورة فردية ، ويجب أن يعمل المجتمع كله للرقى الانساني بها . والنفس الانسانية لا يمكن طبعها على محق الطمع والغش والكذب مرة واحدة ، إنما يمكن تقريبها من الخير بالثقافة والدين والوازع الآخر

ولو تلفت الناس إلى الثقافة حقا ، وحاولوا أن يجعلوا من المثل الأخلاقية أشياء يسهل تحقيقها بالتجربة ، أو النظر فى الدين والوازع الآخر والعقاب ، لخفت هذه الروح المتكالبة على الدنيا ، تكالب الجشع والظلم والاعنات ، ولماتت عوامل الكيد والحسد والغش والأنانية

ولكن زخرف الدنيا نفسه يصرف النفس الانسانية عن النظر إلى الأمام ، وفتنة المال ولذته وحلاوة الترف وجمال القصور والاملاك والمتع كلها تقيم سداً بين النفس الانسانية وبين الخير المطلق وبين الخوف من الجزاء وبين العوامل الخلقية كلها . والنفس بطبعها أميل إلى الراحة والسعادة والنعمة وهي حين تبعد عن الدين والثقافة والخلق

لاتنظر إلى الحلال والحرام نظرة الثقة ولا اليقين ، إنما تنظر إلى الكسب على قاعدة القدرة والحصافة .

الانسان الكامل

التصوف لون حيوى في الانسانية وبفضله وضحت صورة الانسان الكامل الذى تجرد من جميع الأوهام والشرور وانصرف لا يبغي وجه الدنيا ليطلب منها غنما

والصوفية ناس يمثلون المعنى الانساني الكامل ولكنهم ينحرفون فى النفور من الدنيا حين ينصرفون عنها كل الانصراف ، وما كانت الدنيا إلا طلبة متعة وجهاد ، نزاوج فيها بين العمل للآخرة ولها

والمغالاة فى حب الدنيا والمغالاة في الانصراف عن الدنيا شر ، والدين نفسه زاوج بين الدنيا والآخرة وأقام من نظام الآخرة سناداً قويا لتقويم الخلق، ودرعا للسمو بالنفس الانسانية عن الطغيان .

فذكر الآخرة إرهاب لاقامة الحدود فى الدنيا بين

الناس بلا بغى ولا اعتساف ، وفيه أيضاً النظر إلى التعويض الآخر نظرة الارتقاب لما فات من خير الدنيا ونعيمها عند من حرمتهم بعض الطيبات

والانسان الكامل هو الذي يراقب الأيام ويحاسب نفسه حسابا عسيراً ، فقد صدق رسول الله حين قال « القابض على دينه كالقابض على الجمر » .

المزية الانسانية

ثبت فى علم النفس الحديث أن مركب النقص فى كل فرد يستكمل بموهبة أخرى تعوضه وتبرز بروزاً يلفت النظر ولكن هذه الموهبة قد تكون رديئة وقد تكون هي القدرة على الفحش والسباب .

فاذا اتجه هـذا التعويض إلى الخير كان نعمة للانسانية إذ أن كل الأفذاذ والعباقرة الذين يظهرون بين آن وآن إنما هم أفراد قست عليهم الطبيعة في شيء ما فبدا نقصهم للأعين فدفعهم إلى الكمال وإلى الجهاد العنيف للظهور والخلود .

والعاهات تدخل أيضاً في حكم النقص الطبيعي إذ أنها دافع للنفس إلى طلب الكمال ، ودافع إلي السيادة عن طريق آخر ، ونداء إلى طلب الامتياز

والفقر أيضا من أسباب النقص التي تدعو وتحفز إلى السمو بالخلق وبالجهاد الموصول ، بعكس الغني الذي يدعو دائما الى الخمول ويقتل القوي المتحفزة إلى البروز .

والذكاء نفسه تعويض عن نقص آخر قد يكون الغنى مثلا ، فقلما تجتمع ثروة وذكاء

والذين يعرفون كيف يستغل المال هم الفقراء ، وقد قيل قديما (ذكاء المرء محسوب عليه) أي أنه نعمة من النعم يحرم صاحبها نظيرها حظا من الجمال أو المال . وكل نعم الله وأفضاله محسوبة على الانسان ، فلا يمكن أن يجتمع المال والجمال والذكاء والخلق بحال لأن ذلك هو رمز الشخصية الانسانية العليا التي لما يصل اليها بعد أحد .

وقد ثبت بالفعل أن المرأة الجميلة أقرب الى الشراسة والغرور والجموح وأبعد من الحكمة والرزانة والظرف

الذى يوهب لامرأة لم تهبها الطبيعة مزية الجمال .

والذى نعرفه عن يقين أن الحياة لاتهب الكمال المطلق ولا تهب الذكاء إلا ومعه الفقر ، ولا تهب المال إلا ومعه الجهل . ولا بد لكل سعادة من نقطة شقاء في صدرها تردها دائما إلى النقص وتبعدها غالبا عن الكمال .

الانسانية لاتحتاج إلى الجنود ولا إلى العدد العديد ، إنما تحتاج الى القادة والممتازين والنبلاء الروحانيين .

الانسانية فى حاجة إلى الأفراد الذين يضعون فى كل يوم لبنة في بنائها العريض العتيد .

ليسأل كل منا عن مزيته وليبحث عنها وليعزها وليحفل بها وليعلنها فى كل ناد ولينظر إليها نظرة إلهية رائعة فيقوم عليها باليقظة والحرص والجهاد

الرجل الممتاز يحمل فى أعماقه قوة نفسية لاتزعزعها قوة الغضب كما لا يسعدها الشعور بالرضى ، إنما هى تواجه الحياة وهي عالمة بمواقع الخطو وعلامات الأميال .

الحياة توهب لكل فرد خصيصة أو مزية وهى تحرمه

مقابلها شيئا آخر ليمتاز به فرد آخر بحيث لا يمكن أن تتم خصائص الكمال في فرد ما مهما أوتى من العلم أو الثروة .

ومن العيب على الانسان الذى ميزه الله بميزة إنسانية أن يظل فرداً عاديا وأن ينصرف عن ميزته تلك وأن يمضي فى الحياة على المنوال العادي الذى وجد نفسه فيه، فان الهبات الالهيـة لاتلقى إلا لأفراد أعزهم الله ، والشخصية الممتازة هى التى تستطيع أن تقوم جوانبها ، وتنصر ميزتها وتحقق رغبتها صادقة .

والشخصية العادية هي التى تمضي في الحيـاة غافلة عن جانب التبرز فيها ، وقد عاقها الكسل والجهل والاضطراب عن الجهاد الموصول للسمو والخلود

وإن كانت العداوات والخصومات من ألوان الحيوية الذاتية لكنها حين تنصب على ميادين ضيقة تفقد مافيهـا من مزية وتموت فيها المعـاني الفاضلة وتبدد أسباب القوة وآثار الانتاج والفحولة

الانسانيـة تسمو بشخصياتها الممتازة الخالدة ، وما

الشخصيات العادية فيها إلا (كم) لايذكر إلا بلفظ المفرد أو كما قال الشاعر القديم :

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

.الانسانية لاتحتاج إلى الجنود بقدر مايحتاج إلى القادة الممتازين ، فواحد منهم يقدر بشعب كامل

الانسانية فى حاجة إلى العباقرة الصادق الاخلاص لقضية الحق ومجاهدة النفس للوصول الى مدارج السمو .

الانسانية فى حاجة الى الطامحين الذين يؤمنون بأن في أعناقهم ديناً للانسانية ، وأن هذا الدين مطلوب السداد ، وأن كلا منهم يناضل صادقا فى سبيل رفعتها وتزكيتها وإخصابها وتسميدها ، حتى يشتد ساعدها وتزهر وتؤتي ثمارها .

الانسانية فى حاجة الى الأقلام الصوادق ، والقلوب الغوافر ، ولا خير فى الدنيا اذا كانت لاتخرج إلا عدداً من الناس يشغلهم ثراؤهم عن واجبات الأرواح وعن الجهاد فى ميادين الانسانية ، أو يقتلهم فقرهم ويقصيهم عن النضال

الصادق ، أو أفراداً لايهمهم غير الأمعاء والطعام والكساء ولو كانوا بعد ذلك فقراء الأرواح

الانسانية في حاجة الى الأفراد الذين يضعون فى كل يوم لبنة فى بنائها العريض العتيد .

الطبع والخلق

النفس نزاعة إلى وجوه جديدة وسبل جديدة ، تحاول كشفها وتعمل للدخول إليها ، كأنها مقسورة على الدخول غير عامدة أو كأنها بريئة الغرض ، والنفس قديرة على إغراء صاحبها وتلوين عقيدته ، والاستعلاء على ضميره وتعليل أعمالها تعليلا مقبولا لدى صاحبها ، وعلى أساس الوسط الذى توجد فيه . من سن المراهقة تقوم دعائم الخلق والطبع ، ومذاهب الفكر والتوجيه والضمير ، فهي إما أن تقوم معتدلة مهذبة ، فيها خجل وفيها حياء وفيها ضعف عن مواجهة مصاعب الأمور . وإما أن تقوم لئيمة قاسية رعناء تنازع الحياة فى قوة وفى جرأة

ولست أنكر أنها تستقى من معين آخر أشد أثراً من البيئة وهو الوراثة والغريزة ، بيد أن التهذيب والتطبع في ذلك الوقت قد يعدل ما اعوج وقد يصلح مافسد ، وهو في إبان نشأته ، فاذا ماترك جانب التهذيب والتعديل نشأ العود معوجاً واستحال تهذيبه أو تعديله .

والخلق الحي الخجول تنقصه القدرة على مواجهة الحياة وتخيفه مجابهة الأمور ، وتقعد به الطباع عن مواصلة النجاح ، فهو يخفق طويلا

والخلق اللئيم الجرىء قد يصل الى لون من التوقح يحرف معه نبالة الخلق وجمال الاتزان ، وكلا الأمرين اذا أعدا اعدادا غير صحيح أو تركا بدون تهذيب أو تشذيب ، خلقا رجلين ضعيفين ، أولهما ضعيف عن مواجهة الحياة ، والثاني ضعيف عن احتمال الحياة .

أعود فأقول : ان الخلق محتاج الى عناية متواصلة حتي يستوى قويا لايخاف ولا يهاب وحتى يجمع الى ذلك نزعة راغبة عن وجوه الأضاليل والغوايات والنقائص

وصاحب هـذه الخلق يجب أن يكون مجمعاً لصفتين : صفة القدرة على مواجهة الحياة فى جرأة وقدرة وقوة ، وأن يكون قدىرا على امتلاك الخلق الكريم والطبع الرضى

والغريزة المتأصلة في النفس الانسانية ، غريزة عوجاء لاتعتدل الا اذا قامت المذاهب الداخلة في النفس بالتثقيف والتربية والتهذيب والمعاشرة الحسنة

والغريزة الانسانية غريزة هوجاء ، لأنها خلقت مجبولة على حب الشهوات والرغبة فى الغلب والاعتلاء على الآخرين والامتلاك والظهور والتشفى والحقد والكيد والدس والنفاق وهي تعتقد أن هـذه هي السبل التى تستطيع بها أن تسود النـاس .

والنفس لاتقبل أن تساد وأن تحكم وأن يعلو غـيرها عليها الا وهي راغمة ، والا وهي متعللة بأسباب من التواضع الواهى . قال القدماء : ان الانسان حيوان ناطق ولو دققوا لقالوا (ان الانسان حيوان عاقل) ذلك لاننـا نتميز عن الحيوان بالعقـل لا بالنطق لانـ لـكل الحيـوان لغات

يتفاهم بها بعضه لبعض . فميزة الانسان على فصيلة الحيـوان عقله ، ولولا العقل لاستبدت الغريزة وأصبحنا كالوحوش الضارية التي تحـاول السيادة فتفنى بعضها ، أو كالقبـائل البربرية التى يأكل القوي فيها الضعيف .

ولولا العقـل لما استطاع الضعيف أن ينال حصته من الحياة ولا أن يقدر على مواجهة النضال مع الا قوياء

وأصبحت القوة الآن ليست بفضل الظفر والناب ، بل بفضل النضار والمـادة والجاه والسلطان ، ويستطيع أي ضعيف مهزول عقيم قمىء أن يسود أسرة أو قرية ، مادام سناده المال ، وأن يستعبد مادام قد انقادت له قوة السلطان .

والعقـل حاكم مسيطر ، ولـكنه يضعف تحت تأثير الشهوات ، فهى تنمق له السبيل حتى تقوده معصوب العينين الى الهوة .

أما البيئة والمعاشرة والقراءة ، فهى ثلاث عوامل تؤثر فى التـكوين الطبيعى تأثيراً بالغا ، وتغاير بينه وبين اتجاهه ، بل وقد تعكسه .

والصحة أيضا ذات تأثير، لأن اعتلالها يسبب اعتلال الاعصاب ويعمل على هياجها السريع ، مما يدعو الى ضعف القدرة على الحكم الصحيح وهو يدفع الانسان في سبيل، متشائم من الحياة لأن المريض لا يستطيع أن يواجه جمال الحياة فى الاصباح والامساء ، ولا يستطيع أن يتذوق لذة الطعام ولا اللهو البريء أو غير البريء .

وأعتقد أن الطبع المعتدل المثالي الذى يجمع الى الكرم والايثار والاخلاص القدرة على مواجهة الحياة ، لا يتكون إلا بعد تجاريب متواصلة ، ولعلى أعرف باليقين أنه قلما يستوى لامريء طبع مثالى مهما حاول الرجوع الى نفسه ومحاسبتها حسابا دقيقا علي كل تصرفاتها وأعمالها ، لأن شأن الحياة القصور عن الكمال .

ولعلى أحب أن يرجع كل منا إلى نفسه ليخلصها أولا بأول من تأثير الغوايات المضللة التي تتصل بالنفس وتعمل فيها كالكبرياء والحقد والرعونة ، وأن ينأي عن التضليل التقليدي الذي يتصل بالنفس من أثر المعارف والأصحاب .

أمراض الشخصية

أصبح الانسان فى هـذا الزمن عبد مصالحه ومنافعه، فهى المقياس الذى يسيره وعلى حسب خفضها أو رفعها تكون مواقفه. فهو يرضي حين تؤتيه الدنيا، مهما كان مصدر هذا الرزق، إن حلالا وإن حراما. فلا قيمة للتحليل والتحريم فهى أشياء لا اعتبار لهـا مطلقا، إنما المهم هو أن يفعل الانسان الأعاجيب ليمكن لنفسه وهو لايتورع أن يفعل كل ما يمكن للحصول على المال، وهو يستبيح فى سبيل ذلك كل شىء، فاذا استطاع أن يعيش أو يدلس أو يغالط، فلا ضير عليه عنـد نفسه ولا تثريب، وأنت مسئول عن أن تواجه أمرك باليقظة والانتباه.

إذ لا يمكن - الآن - أن يعتمد فرد على فرد فى أمر ما. فقد انتفت الأمانة ومات الصـدق وقل الوفاء وأصبحت المصـالح الفردية، والأغراض الشخصـية، أغلب على النفوس وآثر.

والعلاقات بين الناس قائمة على أساس معاملاتهم، فهى

موصولة طيبة رضية ، مادامت الامور قائمة على أساس الانتفاع ، فاذا انقطع انقطعت . وكذلك الأمر في علاقة الأفراد ، بعضهم ببعض ، فهم أبلغ فى الحقد على من تيسرت أموره ، يسلقونه بألسنة حداد ، وينتاشونه من جوانبه كلها حتى مايبقى فيه شيء بدون تمزيق .

وهم يتناولونه بالسخرية اللاذعة إذا افتقر بعد غنى .

وهكذا ترى العقل الفردي الانسانى هنا يبرأ من الضمير والعفاف والوفاء والامانة إلا فى الندرة الخارقة .

والسر فى ذلك ضعف التربية ورقة الدين وقلة الايمان

والطبقات الشعبية أجرأ ماتكون على الاختلاق والتقول بغير الحق ، ومصدر ذلك حب التشفى من الأخصام والحسد ، والانتقاد والاغتياب أصبح من أفشى الأمراض .

والرجل السليم الخلق لايستطيع أن يخطو فى المجتمع مالم يتخلق بالصبر على مايصادف من العيوب

والرجل الذي يقف وقفة الاطمئنان إلى مبادئه والايمان بمثله العليا يصاب بالعطب السريع ويفقد كل علاقة

وينقلب الناس أعداء له .. ويكفى لاعلان الحقد عليه ، هـذه الصور الرفيعة التى يحتفظ بها من الخلق والتى يسمو بها عمن حوله ، فهى تدعو الناس إلى معاداته وإنـكاره ومحاربته

ويندر أيضاً أن تجد الرجل الشريف الذى تأتمنه على سر ما . . ويندر أن تجد الرجل الذى ينقل ماتقول له دون تحريف أو زيادة أو نقصان ، ولذلك قد فشى لون من الاشاعات متهافتة غريبة على ألسنة ناس أحبوا الظهور بعرض أشياء غريبة جريئة

والانسانية تتقهقر كثيراً بهذا اللون الأسود .

هذا اللون الذي يستبيح أن يسيء إلى سمعة الأشراف حين تحـدث الخصومة على أمر ما ، وأنت لذلك عرضة أن تسام سوء السمعة ، وتحوم حولك الشبهات حين تختلف مع فرد من أولئك الجرآء على الحق ، فليس هناك ضابط للمعاني ولا معايير للألفاظ

وأنت تستطيع ان تتهم من تشاء بما تشاء ، دون تحرج ولا ورع وتجد لذلك آذانا محبـة لشهوة النميمة والاغتياب

سامعة ، وتجد قلوبا ممتلئة بالحقد لمن اغتيب ، يشفيها هذا الاغتياب ويسرها .. وقل في هذه الأيام من يكلف امرءاً بأمر ما ، ثم يؤدي ذلك الأمر على الوجه الأكمل ، وذلك لضعف سطوة الضمير في النفوس ..

وأصبحت صفة الكرم صفة نسبية ، يقصد بها قضاء المصالح والاعلان ، ومات الكرم عن إطعام الفقير والمحتاج وأصبح مقرونا بالأغراض ، أو لطلب الاعلان والشهرة والظهور . وأصبح النفاق سلطان الحياة ، وأصبح سبيلا إلى التقرب من الكبراء والعظماء ، وصار لكل كبير بطانة تنافقه وتصوره بصورة الفضل والكرم والشجاعة .

والرجل المتلون المنافق الذى يعرف متي يغضب ومتي يتغاضب ومتى يضحك ومتى يتضاحك ، هو الرجل الذى ينجح في هذه الحياة .

والرؤساء يحبون النفاق ، وأقرب الناس إليهم هم المنافقون ، هذا مع استثناء طائفة قليلة من الرجال المثاليين .

خضم الحياة

الحيـاة الدنيا دار ممر ، وهى فترة بين العدم والخلود ، فيجب أن نناضل فيها النفس لنقدم لما بعد البرزخ من حساب وميزان وجزاء .

ماذا تكون الحيـاة إذا كانت ترفا ولينا ، وحريراً وقصوراً وموسيقى ، كلها تضل عن الحقيقة الخـالدة التي تقرر أن الدنيا دار ممر ؟ .. النضال الصحيح الجامح الذي تثيره الحياة ، هو مظهر من مظاهر العمل للعيش

وما أهون جهاد الحياة إذا كان مصيره سد الجوع . وما أرذل اصطناع النفاق والآثام للوصول إلى لقمة الخبز .

من إنكار الجهاد الصخاب لمطلب المادة التافهة ، نشأت فكرة الصوفية والاكتفاء بالتمر

الحيـاة في الحق ، جهاد للمعدة ، فما تعرف الروح معرفة حقة إلا بعد استقرار المشاكل المعوية ، وذلك شأن لا سبيل إلى تغييره لأنه ثابت فى الفصيلة الحيوانية ثبات الخلود ، ولا عجب فحين نجوع يسرع الينا الضعف والهزال

الحياة مزيج من الاستجابة للعقل والقلب والوجدان والتمازج بين المادية والروحية فى الانسان ، وهى مزاج من الاباحة والزهد تتناول كل منهما باعتدال وإناة

والحق أن الناس جميعاً يعيشون على شريعة الأسماك وأنهم يلغون الضمير ، بل يفقدونه

وكذلك الألفاظ قد فقدت معانيها ، وماتت فيها أسرارها ، وأصبحت هياكل لا حول ولا قوة . وأصبح من السهل على أي فرد أن يقول مايشاء ، دون خشية أو رهبة .

وإنهم – أى الناس – ليسرفون فى الكيد والحقد حتي يقتلون فى الرجل الشريف ثقته بالخالق والمثل العليا والايمان والتجريد . ماذا يضير الانسانية لو محت الاحقاد والمكائد ، وانطلقت صادقة خيرة راضية ، لا حفيظة توجهها ، ولا نكر يؤثر فيها ؟

الحياة الآخرة

— ١ —

الشيء الذى لا سبيل إلى إنكاره ، والحقيقة الصادقة التي نعرفها ونؤمن بها والتى لا يتطرق اليها الشك هي أن هـذا الكون ليس هو الحياة ، إنما هو محطة من محطات الحياة تصل بين عالمين ، عالم الازل وعالم الأبد .

والوجود فى هذه الحياة لا يمكن أن يكون بدون غاية إنما هو وجود أعد إعداداً مؤكداً للاختبار لوضع الانسان فى بوتقة الانصهار لتقرير مصيره . فقد وهبنا نور الحياة ووهب لنا عدواً وصديقا . هذا العدو هو النفس ، وهـذا الصديق هو العقل .

ورسم أمامنا الطريق واضحاً وقدم لنا تاريخ الأجيال والعصور منذ آدم ، وكيف كان صراعهم في ميدان الامتحان ورسم لنا الطريق الموصلة إلى النجاح وإلى السقوط

فالتجربة هي وضع الانسان بين عاملي الخير والشر . عامل الخير من عقله ، وعامل الشر من نفسه . وقد وضعت أمامه

التجارب التي وصل اليها بعد هذه العصور منذ الأزل ومنذ خلق هذا العالم وتركت له حرية الحياة .

زخرفت هذه الدنيا بألوان لا حصر لها من الزينة. أظهرها المال والبنون ، وهما في ذاتهما عدوان لدودان . فالمال هو الساحر الذى يسود هذه الحياة والذى يقلب نظمها رأساً علي عقب ، وهو الذي يحارب العقل والضمير أعنف الحرب ويخدرهما ببريقه الفتان .

وقد أعطي هذا المال فى الدنيا ليخلق فيها صوراً رائعة من الثراء والترف والنعمة والمتعة واللذة والشهوة والجمال والامتلاك والسيطرة والسلطان والسيادة والقوة والاذلال

فاذا سادت النفس على العقل تصرفت في المال تصرف الانسياق للذة العاجلة الواقعة والنظر إلى عوالم مابعد الحياة بعين الشك والتخيل ، لا بعين اليقين .. وهناك تبدو مع المال زخارف أخري مغرية هي الشيطان والمرأة والخمر .

والمال وسيلة لا غاية ، ولكن سيطرة النفس تقلب الاوضاع فتصيره مرة غاية وتجلبه مرة أخري عن طريق

يميت الكرامة ويقتل الضمير . .فاذا ساد العقل أمكن أن يصرف هذا المال فى وجوه خيرة على اعتبار أن كل عمل صالح هنا فى دنيا الحياة يقيم لبنة هناك فى دنيا الحساب العسير الدقيق ، ودنيا الآخرة هى دنيا الجزاء الواقع

والطريق واضح والأدلة وفيرة ، والابلاغ صادق فلاسبيل إلى التنصل من تحمل تبعة الواقع هنا . والحياة الدنيا هى مرحلة في وسط الطريق بين الأزل الذى جئنا منه والأبد الذى سنخلد فيه

وليس معني هذا أن الحياة ليست دار متاع ، كلا ، إنما هى مزاوجة بين النعمة والاحسان ، وبين الهناء وخلق هناء الآخرين ، وبين اجتلاب الخير للنفس ومنع الشر عن الناس ، هى حياة خالصة لايجاد سبيل ممهدة للانسانية كلها بقدر مايستطيع المرء من قدرة

وبالاحسان ودفع الشر وجلب الخير تسعد النفس ، فلا يكفى أن ينعم المرء وحده وأن يسعد بماله وحسب ،

إنما المثل الأعلى للخير أن يشمل كل من يمكن أن يشمله ، ومن هنا يخلق وعلى هذا يكون .

الحياة الآخرة

— ٢ —

لا تصلح الانسانية صلاحها الحق إلا إذا وضعت نصب عينيها الحياة الآخرة ، فبها وحدها يمكن للانسان أن ينظر بسمو للحياة ، وأن يتجاهل الكثير من أضاليلها وأن ينصرف عن ضلالاتها رغبة في التطلع إلى الذى هو خير .

وانصراف الانسان للحياة الدنيا انصرافا كلياً ، متناسياً الحياة الأخرى ، جهل وغرور كبيران .. فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، وما سعادتها إلا لون حائل لا يطول أمده عن عمر الانسان وهو أقصر الأعمار .

الحياة هنا جهاد فى سبيل العيش ، ونضال فى سبيل القوت والمال، ولكن وراء هذه الدنيا القصيرة الأجل، حياة أخرى هى مناط الأمل عند من يعرف قيم الحقائق الانسانية.

والنظر إلى الحيـاة الأخرى يدعو إلى نفض اليد من الدنيا والتخفف منها والبعد عن الأغراق في طلبها والمتعة بها، والتوسط بين حقها وباطلها، إن لم يكن النزوع الخالص إلى الحق المطلق.

والايمان بالحياة الاخري موجود، ولكنه يضعف بما ترهق به الحياة الناس من تكاليف مضاعفة فى هذه الأيام تدفع إلي تجاهله والنظر إلى الحيـاة نظر التكالب والتخفف من مقتضيات الدين والخلق والضمير.

خاتمة

الحضارة الحديثة أثرت على الخلق، فجرفته عن الاعتدال إلى طلب التحرر المطلق وأغرته بألوانها البراقة المتبرجة على الانصراف عن الروحية

***

النفس الانسانية نزاعة دائما إلي التحرر من القيود الموضوعة سواء أكانت دينية أم اجتماعيـة. وانتشار الخمر

والميسر والبغاء آثار لهذا التحرر يضاف إليه أثر الحضارة في الخلق .

* * *

الايمان والتدين والتسليم لله ، والرجوع إليه عند الشدائد - فحسب - موجود فى الدم ، كما أن الطغيان بالغنى والكبرياء بالمال موجود فى الغريزة .

* * *

القوة الانسانية ممثلة فى الحضارة تتجه نحو التدمير والهدم لا البناء والاصلاح ، وتقوم على مذهب الأسماك لا مذهب الأديان .

* * *

لا يمكن أن تكون الشهرة مقياساً للقوة والعبقرية والامتياز ، إنما المحك الصادق هو المعرفة والخبرة والدرس

وبعد

فهل معنى هذا أن الانسانية قد سفت بعد طويل التحليق عندما صرفتها ضرورات الحياة والجهاد للرزق

عن وازع الدين ورادع الخلق وحكم الضمير ؟

أنا مؤمن بأني ماقلت كل مايقال عن الانسانيـة في الميزان . إنمـا رسمت خطوطا ضعيفة لهـذا البحث الفحل ، وموعدى للرد على هذا السؤال الأجزاء المقبلة .

والله وحده المسؤول عن أن يتقبل هذا السفر بالقبول، وأن يعين على مواصلة الجهاد لاتمام فصوله المقبلة ، إنه سميع مجيب

كلمة شكر

« قام أخى البار الأديب الأستاذ محمد محمود حمـدان بمراجعة هـذا الكتاب ومراقبة طبعه بالقاهرة ، وبذل في سبيل ذلك جهوداً جديرة بالشكر الخالص والثناء البليغ

أدام الله له نعمة الوفاء الذى طوق جيدى ، وجزاه عما فعل خير الجزاء »

أحمد أنور الجندى

تصويبات

من التصويبات التى ننبه اليها : —

ص	س	خطأ	صواب
٢٤	٨	نقاهة	تفاهة
٣٧	٨	بالفطائر	وبالفطائر
٤٣	٦	التغلغل	التجمع
٤٤	٤	صبحة	صحبة
٤٤	٥	يتكر	يتكرر
٥٠	٨	تأزم	تتأزم
٥٥	٩	لأنها	لأنه
٦٢	١٥	مع المراد من	مع اطراد
٦٤	١٥	نفاذ	نفاد
٦٧	٨	طريقا جديدا	طريق جديد
٦٨	١٠	بالجمال	الجمال
٧١	١٤	شقى نواة	كشقى نواة
٧٧	١٠	فأنس	فآنس
٨٠	٨	وتيقظ	وتتيقظ
٩١	٨	ولتزكية	والتزكية
٩٦	١	والدم والفوار	والدم الفوار
٩٩	١٤	وهى من	وهو ـ النضال ـ من
١٠٧	١٦	توهب	تهب
١١٠	١٣	مهذية	مهذبة
١١١	٦	الحى	الحي

وما عدا ذلك من التصويبات فى غنى عن التنبيه ؟